شيماء ياسر

في منتصف الفراغ

قصص

روافد
للنشر والتوزيع

iCulture
Empowering creative minds

iCulture
Empowering creative minds

في منتصف الفراغ

iCulture
Empowering creative minds

ياسر، شيماء
في منتصف الفراغ/ شيماء ياسر.
القاهرة: روافد للنشر والتوزيع، ط1 / 2022.
136 ص ؛ 21 سم
1- قصص 2- العنوان أ. المؤلف
رقم التصنيف: 01،813
رقم الإيداع: 2022/28808
ISBN: 978 - 977 - 751 - 722 - 5
جميع الحقوق محفوظة للناشر

روافد للنشر والتوزيع
+2 0122-2235071
rwafead@gmail.com
www.rwafead.com

تدقيق لغوي: أحمد مدره
لوحة الغلاف إهداء الفنانة: د. شفق الوكيل

iCulture
Empowering creative minds

شيماء ياسر

في منتصف الفراغ

قصص

iCulture
Empowering creative minds

iCulture
Empowering creative minds

إهداء

إلى قارئي الأول

لا أعدك أن تجد فيما أكتب تشيخوف أو يحيى حقي؛ لكن أعدك أن تجد محاولة جادة لسرد بعض حكايات من أرادوا الوصول إليك وإلى العالم.

iCulture
Empowering creative minds

iCulture
Empowering creative minds

نص افتتاحي

قرَّر اثنان من عُمَّال الحياة تنفيذ الأمر ببناء هذا الجسد الذي أسكنه الآن. أخذا الإذن من البنَّاء الأعلى الذي في السماء. أعطاهما الإذن والأمر أن يبدآ البناء في لحظةٍ عن غير وعي منهما، لكنها معلومة ومُحدَّدة لديه على نحو يصعُب شرحه.

كانت اللحظة وكنت أنا في رحم الأم، دون أن تشعر هي ودون أن يختارني الأب. كنت أنا المختارة لأن أكون بأمر البنَّاء الأعلى الذي في السماء.

قرَّر هو كل تفصيلة أحتويها وتحتويني؛ في جسدي وفي نفسي وفي روحي وفي كياني الضعيف؛ كياني الهش أكثر مما أتخيله ... أكثر مما يتخيله أهل الأرض جميعًا.

بناء مُفتَّت مهدوم، تنقسم جزيئاته إلى ملايين الذرَّات، وعليَّ أنا أن أجمعها وأشحنها في بوتقة الإرادة. أنا التي هنا في مخدعي وخداعي، وقد تركت رحم الأم منذ ملايين الثواني، من زمن سحيق كان من القوة والقِدم أن يسحق كل العالم الذي جئت منه من العدم. لم يبقَ منه في نفسي شيء يُذكَر، طُمِست ملامحه إلى الحد الذي أغترب فيه عن نفسي التي كانت في العدم.

iCulture
Empowering creative minds

ينطبق صدري على ظهري كما تنطبق السماء على الأرض في قَسَم البشر وفي بداية الخلق وفي نهاية الكون. كانتا رتقًا ففتقناهُما. هكذا كنت؛ رتقًا ففتقني البنَّاء الأعلى في السماء، إلى سماء بسحابتين وأرض بثلاث وثلاثين نواة تنبثق عن كلٍّ منها بذور الثمرات لتطعم أهل الأرض، وسحابتين بلبن مُصفًّى من خمر الجنان والجنون والمجون.

في رحمي تسكن كأس النشوى، لم يقربها إنس ولا جان، في مأمن بعيد عن كل الحياة وكأنه في أقاصي الأكوان لم يزل؛ بقعة لم يكتشفها بعدُ أي مُرتحِل ولا رحَّالة، ولا وطأتها سفن رحلة غازية أو مسالمة، لا تاهت ولا حادت عن مسارها ولا قصدتها راغبة.

بِناء وفضاء تُدوّي فيه صقور الوَحشة ونسور الغربة وغراب البين. لا أبغي بكاءً ولا رثاءً عند موتي؛ فللصمت فضيلة النسيان.

iCulture
Empowering creative minds

نبوءة

نجلس نحن الأربعة. أنا وحدي على طاولة في الداخل البارد، وهي وحدها تحت الشجرة، في الخارج المعتدل، حيث تجلس اثنتان على طاولة بمقعدين. كلٌّ منا في وادٍ؛ أنا أحاول أن أستجمع جهدي لإنجاز عملي الأخير قبل سفري، وهي وحدها تقرفص تحت الشجرة، ثانيةً أربعها تحتها وتطالع الوجوه. والاثنتان على طرفي الطاولة؛ الصغرى تبدو كمن يحاول البقاء مستيقظًا، فإذا ما نجحت تسمَّرت رأسها في دنيا بعيدة لا أعلمها، أما الأخرى فتكبرها بأعوام عدة كمن ولدتها، تقاوم الزمان وتطلق عينيها في الشارع الصاخب تلتقط منه القليل حسب ما يجود به عليها النظر.

تنظر حينًا ناحيتي تحاول تفسير ما أفعل، فإذا ما تلاقت أعيننا ابتسمت بخفة. هي تشبه أمي، وأنا أشبه أمي؛ طويل نحيف أبيض البشرة وأسود الشعر والعينين.

هل هي مصادفة أم قدر؛ أن تكون تلك التي تقرفص تحت الشجرة تتطلع في الوجوه تشبهنا أنا وأمي والسيدة التي تبتسم بخفة في الخارج المعتدل! الصغرى كانت توليني ظهرها فلم أرَ إن كانت تشبهنا أم لا. لم أرَ إلا انعكاس

iCulture
Empowering creative minds

وجهي في ظهرها الذي يقابلني من وراء الحاجز الزجاجي البارد من الداخل المعتدل من الخارج.

انقطع التيار الكهربي وأظلم الداخل والخارج على حد سواء. أعتم الحاجز الزجاجي الذي يفصلنا. احترَّ الداخل وصخب الحضور مطالبين بالخروج. أبلغتنا إدارة المقهى أن الأبواب قد أُوصِدت إلى حين عودة التيار، فلا مفر من الانتظار. طالبونا بالصمت. احتججنا بالحرية. هدَّدونا بقطع الصوت. ثرنا ثم صمتنا لأننا فقدنا الكلام عقابًا على الصخب والاحتجاج.

عمَّ الهدوء. حاولت أن أدقق في الحاجز الزجاجي المعتم، أستطلع أحوال السيدة التي تبتسم بخفة. حاولت الإنصات؛ هل هم مثلنا في الخارج يُعاقَبون بقطع الصوت؟ هل طالبوهم بالصمت؟

أخذتني غفلة رغمًا عني، صحوت منها على أجساد تحاول إزاحتي من جانب الحاجز الزجاجي كي يتمكنوا من المكوث بجانبه ومتابعة ما يحدث في الخارج. تشبَّثت بمقعدي وغاصت عيناي عبر الزجاج.

أقمار خضراء تتساقط في الخارج المعتم من السماء. الكل يحاول أن يرى. كل الوجوه تتكدس أمام الحاجز الزجاجي. السيدة، التي تبتسم بخفة، ذابت كما الطيف،

iCulture
Empowering creative minds

لم يبقَ منها إلا ابتسامة صعد بها أحد الأقمار، التقطها كما يلتقط العصفور حبة من الأرض. تلك، التي كانت تقرفص تحت الشجرة، تحولت إلى لؤلؤة خضراء تتطاير منها فراشات. الصغرى، التي رأيت وجهي في ظهرها، أصبحت شجرة فتيَّة تقف مزهوَّة في السماء، ولا تمتد إلى أرض. حاولت التقاط هاتفي لتصويرها، فوجدتها قد ملأت كل الفضاء. شجرة عملاقة في صفحة الظلام.

فلاش الكاميرا الصغيرة أضاء بنور كشَّاف، أزعج هؤلاء الصاعدين إلى جبل، فأخذوا في النزول هروبًا من الضوء، الذي لم ينقطع بانتهاء الصورة، التي لم أجدها بعد ذلك. أصبح الخارج وكأنه مسرح صغير، يشغله عرض مسرحي لا أعلمه. تحوَّل الفضاء إلى كرنفال من أضواء مروحة تنورة اخترقت المكان. يتقدم صاحب التنورة ذو العمامة الخضراء، خمسة آخرون يحيطونه في نصف دائرة، بجلابيب بيضاء ودوائر الدف في أيديهم، وسجائر مشتعلة في أفواههم لا ينقطع دخانها.

أخذ صاحب التنورة يدور، فانطلقت منها الأضواء في السماء كأجنحة الطير. يدور، ويدور الخمسة حوله في اتجاه معاكس له.

iCulture
Empowering creative minds

أحاول الحفاظ على مكاني بدس أظافري في المقعد، أقاوم الأيدي التي تسحبني إلى الوراء تريد التقدم من الحاجز الزجاجي للرؤية. شيئًا فشيئًا أصبحت وراء ظهور الحاضرين، أجاهد أن أرى. طالت المسافة إلى الحد الذي غرقتُ به في عتمة الداخل ومن أمامي حشود الحاضرين.

أفقت من غفلتي، فوجدتني أمام جهازي لا أزال، أستجمع جهدي لإنجاز عملي الأخير قبل سفري. فنجان القهوة قد برد، والحاضرون قد ازدادوا، والسيدة، التي تبتسم في خفة، تنظر من خلف الحاجز الزجاجي إليَّ. وهنا، انقطع التيار الكهربي.

***

iCulture
Empowering creative minds

التِباس

اقتادوني إلى مأوى المجانين أول مرة بحجة «إنه مجنون»، «يريد أن يخلع عنه جلده، يا له من أحمق مخبول!» محاولة يائسة لخلع الجلد يظنها الناس جنونًا. كل ما هناك أن الأمر قد التبس عليَّ؛ ما يمكن خلعه وما لا يمكن خلعه.

صحوت تحت الغطاء في شتاء بارد. كان يجب النهوض واللحاق بالعمل. كان لا بد من خلع ما عليَّ فلم أجد إلا هذا اللباس المُحكَم. لا سوستة ولا عروة يدخل فيها زر. أكاد أتأخر، والوقت يمضي، والساعة لا تكف عن إعلامي بمرور الزمن.

جلدي مُنقَّط كجلد النمور، لكنه منه فيه، وليس بألوان مزركشة. انظر إليه وأهم بخلعه حتى أدرك أنه لا يمكن ذلك. إنه مُحكَم من أول طرف القدم إلى أعلى نقطة في الرأس الراكد تحت الشعر. يستر ما تحته، بل هو يجمع ما تحته. لولاه لانفرط شلال الدم يجري حتى تصفيته فأنهار وأقع. أرتطم، ترتطم كل العظام مُفتَّتة على أرض داستها الأقدام ملايين المرات. تتعقد تلك الخيوط الواهية من أوردة وأنسجة وشرايين في كرة هي أشبه بكُرات

iCulture
Empowering creative minds

الصوف التي كانت تصنع منها أمي ملابس للشتاء أو مفارش للطاولات.

استغرقت وقتًا طويلًا للبحث عن منفذ لخلع هذا اللباس المُحكَم. كلما هممت بالنظر إلى المرآة فاجأتني شعرة بيضاء تضيء عتمة رأسي. أبحث ثانيةً وألتف لأنظر في المرآة إلى خلفي فتفاجئني تجعيدة جديدة لم تكن في الالتفاتة السابقة. لبرهة ظننت أن المرآة هي التي تحسب وتعد النظرة بسنة. أشيخ بعد بضع نظرات حمقاء في بحث أحمق هو الآخر عن منفذ للخروج من لعنة هذا الرداء. أختنق، ثم أستسلم لفرض وجوده، ثم يعاودني الملل فأعود للبحث.

أخرجوني قديمًا من مأمني في جسد أمي بهذا الرداء نفسه، لكنه تمدَّد معي بمرور الزمن، ساترًا كل عورات روحي التي لا يراها أحد ولا تعكسها مرآة، هي فقط تتغذى على خوفي.

تمدَّد الرداء وأحكم قبضته على حدودي التي تشكلت من خلاله. حُبِس شلال الدم في إطار هذا الرداء. في كل مرة كنت أحاول خلعه، كان يفاجئني طوفان أحمر.

يُرقَّع الرداء ويُخيَّط كما يحلو لهم، وعليَّ أن أتقبل ما يكون. فكَّر أحدهم مرةً أن يمازحني فاقترح عليَّ وضعي

iCulture
Empowering creative minds

تحت سن إبرة ماكينة الخياطة، عندها هددته أن أفك كل الغرز، التي لا يجيدون حبكها وحياكتها، فيظهر الرداء مُشوَّهًا أكثر مما كان عليه.

أرعبتني صورتي مُمدَّدًا على ذلك المربع المعدني الصغير الذي كانت أمي تفرد عليه القماش، أُحملق تحت سن إبرة ماكينة خياطة في طرفها المدبب الذي سرعان ما يطلق خُطاه في جسدي.

هوت يدي بشكل لم يتوقعه على مقص، ثم هوت ثانيةً به على يده، التي رفعها فجأة بشكل لم أتوقعه، عندما وجد المقص سهوي متجهًا إلى عنقه.

احتجزوني للمرة الثانية في مصحة للمجانين لمجرد أني دافعت عن نفسي!

***

iCulture
Empowering creative minds

iCulture
Empowering creative minds

الجرس

وخَم صباح شتوي تحت غطاء دافئ من الداخل، ووجه مكشوف أمام لسعة البرد على أنفه. رائحة الحبر تشيع في الغرفة. راجع ذاكرته؛ هل نسي القلم مفتوحًا قبل أن ينام؟ لا يذكر أنه قرر النوم، بل النوم هو الذي قرر الهبوط بثقله على عينيه رغمًا عنه، ورغم محاولات جهاده أن تظل عيناه مفتوحتين حتى ينهي هذه الصفحة من روايته المفضلة، التي تُعَدُّ هذه القراءة هي العاشرة لها، والتي أهداه والده إياها في ليلة مماثلة، ليلة عيد ميلاده العاشر.

زادت حواسه انتباهًا مع مظاهرة عابرة لجمع العصافير التي تعقد اجتماعها اليومي على الشجرة الملاصقة لنافذته الوحيدة. لم يجد بُدًّا من النهوض لأن نقاشها قد احتدم كالعادة. على الرغم من تلك النظرة الخاصة به من الصغر؛ أنهم كائنات مزعجة، فالرواية المتداولة في هذا المكان أن المظاهرة اليومية للعصافير ما هي إلا تسبيح لصاحب الملكوت، وعلينا أن نقتدي بها.

اكتشف مع نهوضه سر رائحة الحبر التي تعبئ الغرفة. اصطدمت عيناه ببقعة زرقاء كبيرة تفترش الملاءة تحت كتفه اليمنى، وتفترش ملابسه أيضًا. لولا مكانها ورائحتها

iCulture
Empowering creative minds

ولونها لظن بنفسه العودة إلى الطفولة، ولافتُضِح أمره في المكان وأهله في هذه السن.

سيُضطَر لطلب قلم آخر من النوع نفسه واللون ذاته؛ ليكمل تسجيل ملاحظات القراءة العاشرة للرواية. خطرت على باله فكرة التسجيل مع القراءة الثالثة، عندما اكتشف معاني جديدة وفهمًا مختلفًا عن القراءتين الأولى والثانية حدَّ التناقض. أخذ في التدوين بانتباه، وكأنه يرصد صورة لنفسه وعقله على مختلف مراحل عمره.

الجرس الكنسي يُدوّي، يُعلِمه بضيق الوقت. أسرع في إزاحة الملاءة البيضاء بلون رداء نومه. مع استمرار رنَّته الساحرة التي لم تعد تُفارق يومًا صحوه، تذكَّر كم فُتِن به من النظرة الأولى التي شاهد فيها ناقوس الكنيسة الكبير. ظلت عالقةً في عينيه هيبته. تسمَّرت قدماه فجرَّه أبوه جرًّا ليلحقا بالقداس الأخير الذي سيشهدونه كأسرة صغيرة بوجود صامت لأمه في تابوت هذه المرة. كانت المرة الأولى التي يهب فيها سمعه وينصت لدقاته البطيئة، كل منها دهر. كان يسمعها وهو مُغمَض العينين، وفي مخيلته يُحلِّق صعودًا في فم الجرس الكبير من الداخل، ويده الصغيرة تقبض على شيء ما بقوة. صلاة صامتة لابن العاشرة أمام تابوت الأم.

iCulture
Empowering creative minds

رغم إيمان أبيه العميق، انفعل بجنون عندما أخبره بعد ذلك بسنوات، يوم ميلاده، بالرغبة في السكن داخل جدران الدير. رغم الإيمان، رأى أن الفعل هذا في حق ابنه اغتيال لزهو الشباب الذي كان يرجوه لنفسه ولم يلحق به، ثم لولده ويريده أن يحيا فيه. ما الذي يدفع كل هذا الجموح لأن يقيد في غرفة خشنة بنافذة وفراش بارد ومقعد وطاولة؟! ما الذي تذوَّقه وجدانه فقرر هذا الصيام الطويل عما دونه؟! بل ما الذي قد شبع منه حدَّ الاكتفاء والاستغناء؟!

ما الذي يسلخ عن هذا الجسد الفتيِّ الوضَّاء أردية الحرير الزاهية إلى الخشن ذي اللون الواحد؟! أعجزه الرد، ليس احترامًا، وليس جبنًا ولا خوفًا من عدم الفهم، فقط هروبًا من ذكرى الأمس، التي لا يريد لها أن تتجدد في قلبه ولا على لسانه، فآثر الصوم على الحديث.

كاد الجرس ينهي حديثه الصباحي، وأوشك أن يكمل ارتداء ملابسه، باللون ذاته الذي رأى فيه صاحب الزيارة الجليلة في تلك الليلة البعيدة بإحدى المنامات المضطربة. أبوه الذي في السماء يدعوه إلى مائدته وإلى الإقامة عنده بعض الوقت. لم يملك إلا الفرح، لم يملك رفض مثل هذه الدعوة من مثله. همَّ بالموافقة والترحيب، إلا أن أباه الذي

iCulture
Empowering creative minds

في الأرض اقتحم منامه والغرفة، صارخًا في وجهه، طالبًا تفسيرًا عاجلًا لما كان بالأمس. إكراما فقط لأمه، التي يدعو لروحها أن تتقدس، لم يطرده ولم ينزل به عقابًا يستحقه شابًّا أهوج مثله.

مع آخر نداءات الجرس، تلا صلاته المعتادة؛ أن تفيض روحه في جنباته، يأتي المصفق بالرنة الأولى، وفي الثانية يأتي بحياة الأبدية له في ملكوت السماء.

قرر الخروج من غرفته الخشنة، ليلحق بأولى صلوات اليوم الذي يبدأ فيه عامه الخمسين، والواحد والثلاثين بين جدران هذا الدير. لم ينسَ أن يثني طرف الصفحة التي باغته النوم في بدايتها بالأمس. قبض على شيء في كفه بقوة، وهو يتذكر ليلته الأخيرة خارج هذه الجدران. تلك الضربة القاصمة التي تلقاها على رأسه من حارس المقبرة التي يرقد في عمقها تابوت خشبي يحوي جسد أمه.

لا يذكر كم من الكؤوس تناولها في تلك الليلة؛ استجلابًا للشجاعة بأن يقبض بيديه على الفأس وينبش في التراب، استجلابًا للقوة حتى يصل إلى التابوت ويفتحه، استجلابًا للرحمة حين يرى أمه بعد كل هذه السنين ويسترجع ما غافل الجميع وسارع بدسه تحت الجسد المُسجَّى.

iCulture
Empowering creative minds

بقلب طفل في العاشرة، خشي أن تنسى أمه ملامحه فتتوه عنه أو لا تعرفه في زحام القيامة. اختار أحلى صورة تجمعهما معًا، وفي الوداع الأخير وقبل غلق التابوت، دسَّها في أقرب نقطة طالتها يده، تحت العنق الأبيض مباشرة.

في يوم ميلاده الثامن عشر، لعبت به الوحشة لعبتها عندما أدرك أنه قد ضحى بأجمل صورة في التاريخ للكائن الأوحد الذي آنسه في حياته المضطربة وحيدًا مع أبيه. بدلًا من أن تؤنسه في أرجائها الموحشة، جعلها في عنق جسد مُسجًّى في تابوت. حاكَم في نفسه ابن العاشرة الذي كان، إن تاهت عنك في زحام القيامة لقصر عهدها بك كنت ستتعرف أنت عليها لأنها ستظل على حالها الذي تعرفه أنت. قرر ابن الثامنة عشرة أن يصلح غباء ابن العاشرة، ثم قرر أن يبقى إلى الخمسين في غرفة خشنة.

***

iCulture
Empowering creative minds

iCulture
Empowering creative minds

الراقص

1

بدايات شتوية متأخرة طال انتظارها. كسا الهدوء شوارع وسط المدينة أخيرًا بعد مهرجان الجنون المنصوب كالسيرك بلا نهاية في كل نهار إلى الحد الذي يوحي أنه لن ينتهي أبدًا. تتخلص المدينة في الليل من كل الأعباء. تلقي عن كاهلها كل المكياج الصاخب الذي يحيلها في آخر كل نهار إلى عجوز متصابية. تجدد في الليل خلاياها فتلتئم الجروح.

على ناصية الشارع الجانبي الذي أقف أنا في منتصفه، أراه. يحمل حقيبة أوراق سوداء مُتخَمة. يفرد ذراعيه جانبًا حاملًا في إحداها الحقيبة. يدور في حلقات صغيرة. يثني قدمًا ويفرد أخرى. يرقص على لحن لا يسمعه سواه. شعره الأشيب وجسده الضئيل يتوافقان مع بذلته الصيفية الصفراء اللون الباهتة. يتبادل حديثًا قصيرًا يبدو أنه ضاحك مع أحد مرافقيه.

جمعتنا منذ قليل جلسة شعرية صاخبة كصخب نهارات وسط المدينة. ما بين شعراء وأنصاف الشعراء والمستمعين وكثير من الخلطاء. الشعر العامي كان سيد المقام. يكشف

iCulture
Empowering creative minds

المستور عن كل الدقائق، فتتعالى الضحكات ويزداد الصخب. كان جالسًا محتضنًا حقيبته السوداء المُتخَمة. تضحك عيناه حدَّ البكاء، حدَّ انكشاف أسنانه المتكسرة، مع كل النكات الفاضحة التي يلقيها علينا ضيف الشرف حينًا وبعض الحضور حينًا آخر. لمزات وهمسات ضاحكة بدأت تختفي كلما تقدم ضيف الشرف في قصيدته عن العاهرة؛ تلك التي ترفض ممارسة العمل في نهار رمضان ولا تمانعه ليلًا، وتقطع ما لذ لها وطاب من المسكرات.

افتضاح أمر إنسانية العاهرة، التي تحمل مأساتها الخاصة، كان كالاكتشاف غير المسبوق، أدمع أعينًا كثيرة، من بينها عينا صاحب الحقيبة السوداء المُتخَمة. استحلال الجسد بينما تنزف الروح في نهاية كل ليلة بعد تعرضها للاحتلال من قبل قوى الشهوة الغاشمة. سكت الشاعر وساد الصمت ثم عمَّ التصفيق.

في انتظار أن تسمح إشارة المرور أن تعبر سيارة الأجرة التي ارتميت على مقعدها الخلفي، رأيته واقفًا أمام فاترينة محل ملابس نسائية كتلك التي يصعب تصنيفها. وقفت مبتسمةً إحدى جميلات عرائس العرض الشمعية التي أُتقِن تخليقها واختيار شعر مستعار أشقر طويل لها. اختارها دون كل جميلات العرض. تتفحص عيناه عينيها

iCulture
Empowering creative minds

ودواخل تكوينها الشمعي وكأنها حية تُرزَق. قطع الملابس، التي لا تكاد تُذكَر عليها، أتاحت له مزيدًا من الاكتشاف. يكاد يلتصق بالحاجز الزجاجي دون أن يخل بزاوية نظر مريحة تتيح له مزيدًا من شبع، كأنه تماس أخير في حضن حبيبة لم تبقَ.

***

2

لا أنكر حبي للشعر. كنت أكتبه صغيرًا على أنغام بائع الربابة. يفرح والدي عند سماعه كلماتي الطفولية بوصفها شعرًا، وتضحك أمي حتى أخشى عليها الزوال.

أصر أبي على الوظيفة الميري كالمعهود في ذلك الوقت البعيد. استسلمت وتبعته في الطريق الذي فشل هو فيه. أصبحت موظفًا حكوميًّا على المعاش الآن، ولكن بقيت على حبي للشعر. أتصيَّد لقاءاته التي تُقام كل حين في الملتقيات الأدبية التي أسمع عنها من ابني طالب الآداب.

اليوم موعد لقاء شعري، ولكن للحظ التعس أتخمني صاحب المصنع الصغير، الذي أعمل فيه الآن، بأوراق الضرائب فارضًا عليَّ إنهاء حساباتها. أتخمت بدوري حقيبتي السوداء بها، وانطلقت.

iCulture
Empowering creative minds

الجالسون كُثُر. وجوه أعرفها وأخرى أعرف أصحابها. لم أعد اهتم بالدخول في الجدالات بشأن جودة أي شيء أو رداءته منذ زمن طويل. فليقُل من يشاء ما يشاء؛ فالكون يتسع للجميع.

ولكن ما ذنب العاهرة في إقحام ذكرها وسط هذا الجمع من الهازئين؟! لا أنكر أن شاعرنا، الذي أُقيمت على شرفه هذه الجلسة، أجاد الحكي عنها. أجاده إلى الحد الذي يبكيني، إلى الحد الذي أيقظ ذكراها يوم أن رأيتها للمرة الأولى، أم ابني، نعيمة. تنتظرني الآن بقدميها الصامتتين تحت اللحاف الساتان.

قاطعني أبي عند زواجي بها، والحجة أنها كانت عاهرة. لم أستأ من الوصف على قدر حزني على ما لاقته نعيمة في أيام مضت. لا يستحق هذا القلب ما لاقاه. في اليوم الموعود، الذي قاطعه والدي وصحبتني فيه دعوات امي، قررت نعيمة أن تكون عذراء، لم يمسسها إنس ولا جان.

ارتدَت لي أبدع ما يكون، وكانت هي على أبدع ما تكون العروس البكر. طلَّقتها ثلاثًا؛ كلَّ ما سبق من حيوات، ورقصت لي على أنغام الست؛ «إنتَ عمري». نكايةً في الهازئين أرقص أنا الآخر الآن عليها. بالفعل حقيبتي السوداء مُتخَمة بأوراق ضرائب المصنع، لكني لا أشعر بها. أحملها وأرقص،

iCulture
Empowering creative minds

أحفظ اللحن جيدًا في أذنيَّ كما رقصت عليه نعيمة لي في يومها الأول. أفرد قدمًا وأثني أخرى رغم آلام المفاصل، لكن اللحن لن ينتظر تأوهاتي، ونعيمة كذلك لا تنتظر.

تفرق الجمع وصمت اللحن وبقي الليل وبعض المحال. أحمل حقيبتي السوداء المُتخَمة وأسير، فأجد نعيمة خلف إحدى فاترينات العرض. جميلة ونافرة كما كانت في اليوم الموعود. أبدع ذلك الذي صورها. لولا مرور السنين لظننت بها السوء أنها هي. أقترب أكثر فأكثر كي أتبين ما تخفيه خلف القليل الذي لا يستر. أبتسم ملء الحياة، فأسمع ضحكاتها الفاضحة لكل دلال النساء. نعيمة هي يقظة كل الرغبات التي كانت مشتعلة وما زالت تقاوم حرائق هذا الانطفاء السريع.

ينتهي الكون عند هذه اللحظة التي أقف فيها وتتساوى قامتي بقامتها من جديد، حتى لو على قدم من شمع.

***

3

أخيرًا، هو يومي الأول في العمل كعارضة أزياء، بعد سنوات تخليقي في هذا القالب الشمعي. تنقَّلتني أيادٍ كثيرة. كلهم يتحسسون النافر والخفي من جسدي بلا حياء. تسمَّعت

iCulture
Empowering creative minds

أخيرًا كلمات البشر البذيئة التي ما كنت أدري عنها شيئًا عندما كنت في رحِم صاحبي. يسمونها ورشة وأسميها رحِمًا. مظهري الشاب الفاتن لا ينبئ عن عمري الخمسيني. خمسون عامًا وأنا في طور التكوين. ويوم أن اكتملت، مات صاحبي.

قرر ابنه أن يبيع تحفة أبيه الخالدة التي أبدع في تصويرها على مدى خمسين عامًا. كان يناديني نعيمة، ويطالبني بالرقص على أنغام تقول «إنتَ عمري». يكسوني ملابس تشرَّبت عرقًا أنثويًّا لا يخلو من طيب رائحة صاحبته.

أقف الآن شبه عارية خلف هذا الحاجز الزجاجي. تثقب أعين الجائعين والطامعين واللاهثين في جسد من شمع عمره خمسون عامًا، وإن كان فاتنًا لم يزل لأنه لا يطرأ عليه ما يطرأ عليهم فيحوله إلى تراب في نهاية المسير.

ها هو آخر، عجوز. كلما اقترب تظهر إحدى شعيراته البيضاء في وجه متكسر كبقايا أسنانه. علامَ يضحك هذا المخبول ذو الحقيبة السوداء المُتخَمة؟!

رغم ذلك، أشعر فيه ببعض اختلاف. نظراته ليست جائعة رغم إصراره على اكتشاف المخبوء بالاقتراب حدَّ الجنون من الحاجز الزجاجي. نظرات اشتياق كنت أراها في عين صاحبي.

***

iCulture
Empowering creative minds

السلَّم

طلبوا منا حمل السلم المعدني كي يصعد عليه عامل الكهرباء في المبنى المجاور. حملته من البداية وحمله هو من النهاية، وسِرنا. الدرجات بيننا معكوسة، كأوتار آلة الهارْب، لكنها قصيرة لا تكفي لكل النغمات.

كنت صغيرًا يتكرر في منامي حلم وحيد؛ أني أصعد سلمًا عاليًا لا ينتهي، وكلما اتجهت إلى أعلى حيث ما لا أعلمه، تضيق الدرجات بما لا يكفي قدمًا واحدة إلا بالكاد. أين أضع الأخرى؟! لا أعلم. يضيق تنفسي إلى الحد الذي أكاد ألفظ فيه روحي، وأبدأ في الهلع. لا أرى سلمًا للهبوط، ولا يمكنني الهبوط.

أختار أن أسقط من ارتفاع لا يمكن قياسه، وأصحو إما على أرض حلمي الكابوسي أو ما تعلمته مع الوقت أن اختار الصحو وأنا لا أزال في الهواء، في أثناء السقوط.

شمس يوليو حارقة، تزداد معها سخونة المعدن في يدي. يزداد ثقل السلم في بدايته التي أحملها. أرى زميلي في نهاية السلم تتباطأ خطاه فأبطئ خطاي أنا الآخر رغمًا عني. تتعوَّج خطاه. السلم طويل إلى الحد الذي لا يمكنني أن أسأله ما به.

iCulture
Empowering creative minds

شمس الخليج أشد حرقة، كما يصف ابني في خطاباته. لا بد أنه قد ازداد اسمراره وأنه يدفع المزيد حق مسحوق الغسيل لملابسه من عرق النهار ووحدة الليل.

يستند زميلي في نهاية السلم إلى سيارة مجاورة فارهة يصعب عدُّ أوراق نقدها، فأقف أنا ليلتقط أنفاسه. يكمل هو خطوتين بوهن. يتثاقل المعدن على كتفي اليمنى، ثم يرتطم صوت سقوط نهايته في أذني بسقوط زميلي.

الأصفر بهجة الناظرين، يتحول في عيني لهيبًا حارقًا بحرارة شمس يوليو. العرج في قدمي ظاهر للعيان، لكنه لم يمنعني أن أعدو الشارع للحاق بآخر عربات باعة الإسعاف الهاربة قبل مجيء حملة إشغال الطرق. أنقذ القميص الأصفر من إحدى الشماعات الصدئة لابني.

أنا الراوي لقصص الأنبياء في زاوية الفتح الكائنة بآخر حارتنا. صعودًا في معراج السماء وهبوطًا في سجن العزيز. يأتي المسعفون لحمل زميلي. أضع السلم المعدني أخيرًا، بعد أن اسودَّت يداي وتهاوت كتفي اليمنى، على الأرض التي تطلق حرائقها انتقامًا مع شمس يوليو.

يهرول في اتجاهي صارخًا، مدير الوردية، بشكوى عدم وصول السلم المعدني إلى عامل الكهرباء في المبنى المجاور.

iCulture
Empowering creative minds

تتوالى الحشود تخرج هروبًا منه بعد تحول برودة أحد مباني المول التجاري إلى جحيم.

الغريب أنهم جميعًا يرتدون الاصفر، كأنهم رحلة مدرسية كتلك التي كان يخرج فيها ابني باللون نفسه، ولكن في حديقة حيوان الجيزة، وبرداءة صنع قطعة صفراء على شماعة صدئة.

أفتح عينيَّ بالكاد على حرائق الإسفلت وشمس يوليو والوفود الصفراء. أجدني مُمدَّدًا على الأرض في نهاية السلم المعدني. أدرك أخيرًا أني كنت أحمله وحدي في بدايته ونهايته. سقطت، لكن فاتني أن أصحو في الهواء قبل السقوط.

عطور الوفود تزكم أنفي الذي يحاولون إنعاشي من خلاله، رغمًا عنهم. ستتحول بعد قليل ليمازجها العرق هي الأخرى. تتحول الساحة إلى صفراء من السماء إلى الأرض. أطفو فوقها وأحلق إلى كائنات خضر، باللون نفسه الذي أرتديه كعامل للنظافة. ألا يقولون إن جنة السماء للفقراء؟!

***

iCulture
Empowering creative minds

iCulture
Empowering creative minds

على فوهة بندقية

ماذا لو كان القفص أكبر قليلًا؟! هكذا تساءلت صغيرة عندما أهداني أحد الأقارب قفصًا لعصافير ثلاثة. لم أدرِ هل أفرح بهذه الكائنات العذبة التي تذوب رقة في عيني بألوانها الزاهية، أم أحزن لأنها داخل حدود جدران مفتوحة بقضبان، ترى براح الدنيا الواسعة ولا تملك أن تنطلق على ما خُلِقت عليه وكما تشاء؟!

تساءلت: هل لو كان القفص بجدران صمَّاء، ألن يكون أفضل؛ حتى لا تتحسر على حالها؟ على الأقل لن ترى إلا ما هي فيه من مساحات وسترضى رغمًا عنها. سينسيها الوقت العالم الذي جاءت منه قبل اللحظة التي وضعتها يد شقية في قفص. سينسيها أوامر الجينات بداخلها، الرغبة الخفية في التحليق دون تحديد وجهة.

قالوا إنه لا يجوز، لا بد من منفذ جيد للتهوية حتى لا تموت. استغرقت بعض الوقت لأترجم معنى تلك الكلمة وفق قاموسي الصغير الحجم لا يزال. «تموت»، تبدو جيدة نوعًا ما، فأنا أحب حرفي الميم والتاء، وأجري لاهيةً وأنا أنطق بال«واااااووووو».

iCulture
Empowering creative minds

إذن لا بد من قضبان، فليكن القفص كبيرًا نوعًا ما، مساحة أرحب للانطلاق، مساحة تتناسب مع هذه الأجنحة للتحليق. كلما تخيلت حجمًا أظنه مناسبًا، أظنه أرحب، أليق بالأجنحة، يباغتني شعور أنه غير كافٍ. ستظل دومًا توَّاقة إلى الفضاء، السماء، كل هذا البراح خارج ما تراه من قضبان.

ربما الحل أن أضع القفص -أيًّا كان حجمه- في حجرة جميلة واسعة ونافذتها عالية، تملأ المكان بالهواء وفي الوقت ذاته لا تلتقط أعين العصافير السماء/البراح؛ حتى لا تحزن. ستظن أن البراح هو ما تراه من فضاء حولها أكبر قليلًا ممَّا هي فيه. ستظن أن براح هذه الغرفة هو كل الكون، ستقنع لا ريب. المهم ألا تلتقط أعينها السماء؛ حتى لا تحزن.

أو يوجد حلٌّ آخر؛ أن أجعل هذه الحجرة الأرحب أقبح، جحيمًا ترهبه العصافير، فتتمنى ألا تخرج أبدًا، وترضى برحابة القفص السعيدة الآمنة. لكن السؤال الذي أعجزني: ما الذي يمكن أن يرهب العصفور؟! هل أن يرى بندقية الصياد؟ لا أظن، وإلا لما انطلقت العصافير في السماء بكل تلك السعادة حتى تكاد تقف ربما على فوهة بندقية! لا، لا أظنها تخشى شيئًا.

iCulture
Empowering creative minds

ذهبت بسؤالي إلى قريبي الذي جاء بهديته. كان جالسًا مع أبي في رشفات أخيرة لقهوة صنعتها أمي. لم أجد مجالًا لإثارة السؤال، فانتحيت زاوية لم يشعرا فيها بوجودي، على أمل أن أدخل بسؤالي في لحظة صمت. يتحادثان عن أموال يخططان للحصول عليها، ليست لهما، وإنما لأولاد عمو جمال الذي انقطع عن زيارتنا فجأة، وكلما جاء ذكره يعلو الوجوهَ الحزنُ ويدعون له بالرحمة. أعرف أولاد عمو جمال جيدًا؛ شادي وسعاد. يُلوّح لي شادي باستمرار من بلكون مسكنهم في البناية المقابلة، إلى بلكوننا الذي وُضِع فيه قفص العصافير.

يقولان إن شادي لا يزال صغيرًا، وسعاد لم تتم عامها الأول، وأمهما جميلة إلى الحد الذي هي فيه -بكل ما لدى جمال من أموال- مطمع. لا تفقه من الدنيا شيئًا ويجب ألا يحدث، ولتبقَ لرعاية ولديها. لو علمت حجم الثروة، لكانت -الثروة- في خطر حقيقي للضياع. فلنكفهم على قدر، وبقية الثروة نحفظها لهم في سن مناسب. قالا إنهما سيرتبان أمر الأوراق الرسمية حتى لا يظهر من حجم الثروة إلا ما يريدان الإعلان عنه فحسب.

دفعني للقيام جريًا جرس الباب، وإلا لما أحسَّا بوجودي إلى هذه اللحظة، فظهرت على وجهيهما علامات توتر. كان

iCulture
Empowering creative minds

شادي مبتسمًا ممسكًا ببندقية صياد، وسعاد بردائها الأحمر تحملها والدتها المتشحة بسواد. جاءت أمي على أثر الصوت، بينما قام بتوتر ملحوظ كلٌّ من أبي وقريبنا صاحب القفص. يتبادلان النظرات بعضهم مع بعض، وأشركاني فيها بما يشبه التحذير. أحسست أني قد شهدت على ما لا ينبغي أن أشهده، ما لا ينبغي أن يعلمه هؤلاء القادمون الثلاثة.

أخذت شادي من يده وجريت هربًا، إلى البلكون. أعجبه القفص وأهله، لكن باغتني بالأسئلة نفسها. دخلنا رحلة بحث مشترك عن حل يعطي العصافير الثلاثة حقها في التحليق بحرية وأمان. وصلنا إلى السؤال الأهم: مِمَّ يخاف العصفور؟! إحساس مشترك باغتنا أن شيئًا خاطئًا يتحرك فينا للمرة الأولى. لماذا قد نتسبب لها في الخوف؟ إن كنا نخاف عليها الحزن، أليس من الأولى ألا نرهبها؟! هل نحن صادقان إذن في رغبتنا بمنع الحزن عنها؟ ما المتعة أن نرى هذه الكائنات الجميلة القوية بأسلوبها الخاص، وراء قضبان، صغرت أم كبرت؟! اتهم بعضنا بعضًا بالشر. تلك الصفة التي سمعناها كثيرًا في قصص المدرسة، «الذئب الشرير».

iCulture
Empowering creative minds

قررنا طرح أسئلتنا على مجتمع الكبار المنعقد في الداخل، وكنت قد تناسيت قليلًا ما شهدت عليه وتلك النظرات التحذيرية. تسابقنا في الدخول وطرح الأسئلة. أوقفتنا أمي لأن الوقت غير مناسب. رأينا أوراقًا كثيرة على الطاولة المستديرة التي أعدت أمي ما لذ وطاب وعبأ رائحته المكان لتناوله عليها بعد أن يفرغ صاحب القفص وأبي وطنط جميلة من توقيع أوراق مهمة تخص ثروة عمو جمال. بجانب الأوراق كانت توجد بندقية شادي.

***

iCulture
Empowering creative minds

iCulture
Empowering creative minds

الموظف المثالي

بمجرد أن يفتح عينيه على ضوء الصباح إثر زن ناموسة تصر على امتصاص دمه، يقفز إلى ذهنه السؤال: كيف يعيش المرء مع أخطائه وعذاباته؟!

رحلته اليومية على خط السكة الحديدية هي رحلة عذابه الأبدية. إنها الضحى وهي الليل إذا سجى، ولكن ما من أحد يملك أن يطمئن قلبه، هل ودَّعه ربه؟ وهل ودَّعته الحياة؟ يلبث ذهابًا وإيابًا حاملًا كل هذه الأرواح على ظهره، ولا يملك دفع الضر عن نفسه، ولا يتبرع أحد بذلك.

اعتاد أن يلعن لحظات الصباح الأولى التي يصل فيها الضوء إلى عينيه بعد نوم يطول ويقصر، يهدأ ويضطرب. هي اللحظات الأشد شقاءً لأنه يُواجَه فيها بيقظة عقله الذي لا يعرف النوم ولا يعطيه فرصة حتى لأن يقول لنفسه «نم قليلًا، لا يزال الوقت باكرًا على النهوض.» لا مجال لأن يحايله أحد، حتى عقله.

لم تكن في حياته لحظات دراما مسرحية يستشهد على عتباتها باكيًا. وكذلك لم تكن فردوسًا ونعيمًا. هي حياة تحمَّل فيها خطأ وجوده الذي فرض نفسه عليها -الحياة-

iCulture
Empowering creative minds

من دون إرادة منه. فليحاكموا إذن وجوده هذا الذي اختار، وليرحموه.

تِركته التي ورثها عن أبيه، كانت هذه الرحلة اليومية التي خلفه فيها. ابن موظف قديم قِدم السماء في الأرض. ولذا له أحقية شغل وظيفة في المكان، وكانت من نصيبه، هي نفسها الوظيفة التي كانت للأب، سائق للقطار.

حامل الأرواح، من وإلى، حتى تلك التي لم تُولَد بعد. سيُعاقَب ويُحاسَب عليها، وهي في بطون أمهاتها وأصلاب آبائها.

خُيِّل إليه أنه سيُحاسَب على رشوة أحدهم، الذي ركب القطار ومعه دليل جرمه، وقد أوصله هو ويسَّر له طريق الفرار، وأنه مسؤول عن رد أموال مختلس ركب القطار فحمله في زمرة الهاربين.

نعم، هو أيضًا ملاك الرحمة الذي يوفر ملاذ الهروب والتعافي لكل من يريد أن يغور في بقاع الأرض بعيدًا عن نقطة عذابه. هو فرصة للتائبين.

قديس هو أم مُيسَّر للضلال؟! فليحترقوا جميعًا في نار السماء. المهم هو؛ لا يريد أن يُقدَّس ولا أن يُرجَم، فلماذا يُحمِّلونه مشقة تلك الأبدية من أقصاها إلى أدناها؟ من وإلى، بلا توقف.

iCulture
Empowering creative minds

يظن الغافلون أن له في كل بلدة يمر بها خليلة تنتظره. صدقوا، هناك من ينتظره بالفعل، لكنها الجنيَّة، التي تمسك بالسوط وتجبره أن يكمل الرحلة دون توقف. شعرها أخضر وجسمها أحمر، وصدرها بحران من خمر ونار، وهو لا يشرب الخمر ولا يقوى على النار. يحاول أن يقنعها أنه مضطر للتوقف، ليلتقط القطار أنفاسه وليلفظ أخرى. لا تسمعه، تريد أن تأمره فيأتمر.

كان عاقبة ذلك أن يسمع لها، فعُرِف بين أقرانه ورؤسائه بالانضباط، وحصل على مكافأة ولقب الموظف المثالي. لا يعرفون، إنما يحركه السوط فحسب لاستمرار رحلته الأبدية. قبلته الطريق، وليحمل مَن خلفه وليقُد كلًّا إلى وجهته، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

***

iCulture
Empowering creative minds

iCulture
Empowering creative minds

تداخُل

طفلة صغيرة في مقعد وثير، تهز قدميها الصغيرتين المُمدَّدتين على حافة المقعد في نشوة طاغية، يعجبها لون ذاك الحذاء الذهبي الجديد.

وهل هو جديد؟ إنه أول حذاء تحظى به في عالم الكبار، هكذا هي ترى نفسها؛ أحد هؤلاء الكبار العمالقة الذين ينظرون إليها من علٍ بابتسامة كبيرة ويعبثون بأصابعهم في خصلات شعرها.

كلما أجلستها أمها في هذا المقعد ذي اللون الأحمر الداكن كلون تلك الثمرة الطيبة المذاق التي تحبها أمها وأحبتها هي أيضًا، تشعر أنها ارتمت في حضن دافئ كبير، فظهره كبير عريض يرتفع فوق رأسها كثيرًا، بالنسبة إليها على الأقل، وحافتاه أيضًا كبيرتان، طويلتان، عريضتان، كم تحبه!

***

يا للصغيرة!

أغفلت عينيها اللامعتين فنامت.

نومًا هنيئًا يا صغيرتي، ما أروعك!

iCulture
Empowering creative minds

سأذهب لشراء بعض حاجيات البيت ولن أتأخر، أعدك أنني لن أتأخر.

***

كم من الوقت مر؟! آها، لقد غفلت وأنا جالسة.

آه، رقبتي تؤلمني.

آه لهذا المقعد الغبي، لا بد أن أشتري غيره، كم من السنين وأنا أحتمله.

ضاق بي وضقت به؛ اكتفى بعضنا من بعض.

جرس الباب يستنهضها لترى القادم.

عامل القمامة!

– موعدك كان بالأمس، وأخذت ما لك عندي.

«ما لتلك المرأة كأني أستعير منها نقودًا وجواهر؟!»

– نعم يا سيدتي، ولكن وجدنا هذا الحذاء الجديد فيها، ربما أُلقِي بالخطأ، تفضَّلي، عن إذنك.

***

تحتضن حذاءها الذهبي الجديد، الأول، تنكمش في مقعدها الوثير، الغبي، تغمض عينيها الدامعتين، اللامعتين في غفوة بانتظار عودة أمها.

iCulture
Empowering creative minds

حوض الورد

كان آخر ما أخذته معها من الدنيا رائحة الورد. منذ الصغر، لم تعرف إلا أكوام القمامة، كمهنة متوارثة أبًا عن جد. تمشي مُنكَّسة الرأس إذا ما صرفها أحدهم بعنف بسبب الرائحة المتجولة معها أينما حلَّت. حرصها على شراء معجون أسنان كان مثار تعجب وسخرية من د. وديع الصيدلي.

«يعني هو ده اللي ناقصك يا جواهر؟! يا بنتي إنتي قنبلة موقوتة ماشية ع الأرض بريحتك دي!»

لم تفهم الجملة. تسمع عن لفظ القنبلة، تلك التي تحدث فرقعة بصوت هادر. ما وجه الشبه؟ لا تعلم. تشكل المياه عندها قمة نعيم الدنيا والآخرة. أغلظ الأيمان تُعقَد بالعقاب من زوج أمها عندما تقرر الاغتسال يوميًّا بعد يوم عمل طويل، تمتزج فيه رائحة العرق برائحة قمامة البشر.

«ما بنلاقيش الميَّه الصبح يا بنت الكلب. ريَّحي نفسك مش هتنضفي.»

مدام كريستينا والخواجة مرقص زوجها، من أعز الزبائن. صُنَّاع عطور محلية صغيرة.

iCulture
Empowering creative minds

«خبيبتي إنت خسارة في الشخلانة دي. إنت لازم تبقى خاجة تاني. تعالى وأنا أعلمك كل خاجة.»

مصنع مدام كريستينا المحلي في إحدى عمارات وسط البلد بالقاهرة. عمارة قديمة متماسكة أمام الزمن بتقلُّباته من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. مصنع الورد يحتل الدور الأخير في البناية. سقف الصالة عبارة عن قبة زجاجية ملونة صغيرة، تسمح بدخول الضوء الطبيعي نهارًا بشكل ساحر عند انعكاسه على رسومات روميو وجوليت.

الغياب المتكرر لحارس البناية فرصتها الذهبية للصعود بنفسها لاستلام أكياس القمامة. رحلة الصعود إلى قبة روميو وجوليت، برغم مشقتها، ماتعة لها.

«الأسانسير ده للسكان بس. اطلعي ع السلم ياختي، ولو عايزاني آجي أونِّسك.» يقولها ويكشف عن أسنان سوداء بابتسامة تشم فيها رائحة التبغ والقمامة.

حاول جرَّها أكثر من مرة إلى غرفته في البدروم. كانت بداية تعرفها على مدام كريستينا في أثناء خروجها من الأسانسير، وسماعها سيل الشتائم المُلقى على الحارس من جواهر، التي كانت تدفعه وترميه بزجاجات البلاستيك الفارغة.

iCulture
Empowering creative minds

يومها تخلَّت كريستينا عن موعد خروجها، وأخذت معها جواهر إلى أعلى. كانت المرة الأولى التي تسمع فيها عن أشخاص روميو وجوليت وترى لهم وجوهًا وأجسادًا. ترى ضوء النهار تغلفه رائحة الورد المُركَّزة. أصبحت شقة مدام كريستينا جنة الأرض لجواهر. مُرحَّب بها دائمًا.

تحاول بكل ما أُوتيت من قوة نفي شائعة اعتياد قومها رائحة القمامة. تؤكد دومًا أنها لم تعتدها كما يحدث للبعض منهم. إنها تريد الخلاص منها؛ من قمامة البشر الملقاة على ظهرها دومًا. فليحمل كلٌّ منكم قمامته ويتحمل مسؤولية التخلص منها. قروشكم الزهيدة لست في حاجة إليها، لا تغني من جوع، بل لا أمتلكها أصلًا. تذهب رأسًا إلى الرأس الكبير المُدبِّر لمكيدة التخلص من القمامة حرقًا. نحن من نحمل قمامتكم، وتزكم أنوفَنا رائحةُ التخلص منها. حرائق خلاصكم وتطهُّركم نحن من ندفع ثمنها. وأنتم تظنون الطهر والخلاص وتحمدون الله عليه.

مختلفة هي عن بقية بنات «الكار». شعرها الأصفر، وبياضها المتحول دومًا إلى سواد خفيف يغطيه تراب الشارع ودخان الحرائق ويستره عن الأعين الطامعة.

بعد اغتسالها يوميًّا، تكون مثار حسد قريناتها وأختها الكبيرة، عندما يظهر لهن انفصالها عن عالمهم شكلًا

iCulture
Empowering creative minds

وموضوعًا من طول رفضها ونقمتها على حالهم. نغمة تحاول ضبط إيقاعها وسط سمفونية نشاذ.

تدعو «العدرا» لتكشف لها السر، وتصلي على محمد علَّها تجد عنده الجواب: لماذا لا تنبت في أحواشنا الورود؟

لم تسمع من أمها ما ينصفها في أثناء تبكيت زوجها على أصيص الورد الصغير ذي الزهرة الوردية الواحدة فيه. جاءت به من جنة مدام كريستينا كهدية. لم تسلم يومها من سخرية كل من تمر عليهم في طريقها إلى الجدران الأربعة التي تؤوي أربعة أفراد، قرر خامسهم أن يرحل ليجد البراح.

ليتخلص منها ويكسر شوكتها؛ قرر زوج الأم تزويجها بابن جارهم، جامع للقمامة صباحًا، مدمن على كل أنواع الغياب ليلًا. تنتشر أقاويل إنه «ما بيعرفش ومالوش فيه» بعد طلاق سابق انتهى بفضيحة وشجار لا يزالون يتحاكون به.

يومها اكتمل أمامها المشهد، مشهد رحلتها على هذه الأرض. قررت الاستعانة بصاحبة الجنة، مأواها الوحيد الآمن. مع درجات السلم في الأدوار العشرة، كانت تُحكم روايتها؛ لتضمن موافقة مباشرة على الطلب. أن تعمل خادمة في مصنع للعطور هو ترقٍّ لا شك فيه عن كونها جامعة قمامة. مدام كريستينا تعرفها جيدًا وتقف في صفها دومًا وتدعمها ولن ترفض.

iCulture
Empowering creative minds

وصلت لاهثة أمام باب الشقة العتيق بارتفاعه وصلابته. دخولها الجنة هو مبتغاها من وراء الباب. لن تهبط، قرار واضح وصريح.

طال ضرب الجرس مرارًا ولا مجيب. تزايدت ضربات كفها على الخشب الصلب. لاحظت غياب لوحة اسم الخواجة من على الباب. لن تهبط، هذا هو القرار.

توجهت إلى الشقة المجاورة في الدور الفسيح. مدام عايدة، من الجرس الأول، طالعتها بابتسامتها العجوز مُرحِّبة.

- هيَّ مدام كريستينا فين يا ست عايدة؟
- إنتي ما تعرفيش؟ دي سابت الشقة. من يومين جه قرار غلق للمصنع. ولاد الحرام بلَّغوا عنه، جت الحكومة قفلت المكان.
- طب راحت فين؟! ألاقيها فين؟!
- والله يا بنتي ما أعرفش. هيا قالت لي لمَّا تستقر هتكلمني. بس استنِّي صحيح، كانت سايبالك نسخة من المفتاح تاخدي حاجة من جوا. كنت ناسيه معلش. ثواني!

iCulture
Empowering creative minds

لم تكتمل الدقيقة حتى جاء المفتاح. توجهت به إلى باب الجنة. خاوية على عروشها، إلا من بعض ورق العزال. تجولت في المكان برحابته التي كانت تغشاها الورود قبل أيام قليلة. ما زالت الرائحة قوية ونفَّاذة.

تعجبت من عدم وجود شيء تركته مدام كريستينا لها كما قالت الجارة. غرفة واحدة مغلقة، تنبعث منها رائحة قوية للورود.

فتحتها بحرص، تجولت بعينيها، فستان وردي قصير بأكمام قصيرة مُعلَّق على شماعة.

طاولة جانبية عليها مرآة فضية اليد، وزجاجة عطر ومشبك شعر.

مغطس أبيض عريق يتوسط الغرفة يمتلئ بماء الورد وأوراقه الحمراء والوردية والصفراء، رائحته النفَّاذة مغرية بالانزلاق داخله. نعم، هذا هو ما رمت إليه مدام كريستينا.

أمام المرآة الطولية للطاولة، خلعت عنها ثوب القمامة. ارتدت الفستان الوردي. تعطرت ووضعت مشبك الشعر بعناية. وأطلقت جسدها يغمره ماء الورد في المغطس اليوناني القديم.

***

iCulture
Empowering creative minds

ذو الرأس المزدوج

أفتح عينيَّ على ضوء مُسلَّط، يخترق كل المسام بلا استئذان. أجتهد لأدرك أنه الشمس. تتسع حولي المسافات. لم أجد بُدًّا من القيام، ويبدو أنه قد طال بظهري رقاده.

مساحات حولي من كل اتجاه تعطيني إشارة على أني هنا وحدي. أينما وليت وجهي أجد الفراغ الأصفر لا غير؛ شمسًا في مجدها ورمالًا في تعدادها اللامتناهٍ. لا أذكر من أمري شيئًا. أسير قليلًا فتفاجئني جبال من بعيد، يشهق بياضها في ضوء الشمس، يعلن عن نفسه بكل أدب.

أسير وأركض، لا يمين ولا شمال، خارج زمان ومكان يمكن قياسهما بمقاييس البشر.

انتبهت على جفاف حلقي، الذي يشبه إلى حد بعيد خشونة يد جدي، التي لم تترك الفأس يومًا منذ أن عرفت الحياة. يضرب في سواد الأرض ليلقي البذور. يضرب في سواد الأرض يحفر قناية لسُقيا ما يزرع. لو كان هنا لأخذت منه الفأس وضربته.

قد يكون حلمًا، وإذا ما مددت يدي جانبي ستصل إلى زجاجة الماء المثلج التي وضعته هنا قبل أن أنام. أغمض

iCulture
Empowering creative minds

عينيَّ وأمد يدي، أحاول أن أعيش الحلم. تضرب يدي عاصفةٌ رمليةٌ تلقي بظهري إلى الفراغ ووجهي في الرمال.

استفقت ثانيةً، أفتح عينيَّ في طين أسود. تنهال على رأسي زخات المطر. أستقيم بظهري واقفًا رغم ألمه. يحاوطني سواد أرض كأرض جدي، لم تكد تبلع في جوفها بذور نباتات لا أعلم بعد ما سيكون مذاقها.

أدور بعينيَّ، تحاوطني على البعيد الجبال ذاتها التي يشهق بياضها رغم غيم السماء. جسد من بعيد يتكور على نفسه في آخر طريق يشتد سواده. يتربع تحت هيكل معدني رفيع يمتد إلى السماء برأس مزدوج، يضيء يساره ويغمز بيمينه.

أتحقق من ذلك القابع هناك، بجانبه فأس. أقترب، يراودني ظن أنه جدي. أقترب، فيبتعد الطريق. تؤنسني غمزة الرأس الأيمن للهيكل المعدني، تعطيني حياة أدفعها ثمنًا للوصول إلى الفأس وصاحبه. أكاد أصل ويكاد يبتعد، حتى أقترب. يشتد عوده ويستقيم. ملامحه مطموسة بنور كبياض الجبال، يشهق في سواد الأرض. يمد يده بالفأس. أهم بأخذه، فتضرني صاعقة من السماء، واجهتني في عيني لحظة الاصطدام.

iCulture
Empowering creative minds

أفيق من غيبوبتي، وأفتح عينيَّ على وهج الشمس من جديد. في يدي فأس جدي ومن حولي جبال بيضاء وتزكم أنفي رائحةُ العرق الأسود على جسدي. أقيم ظهري إلى يأس من الوصول. يواجهني ذو الرأس المزدوج، يحدق بواحدة ويغمز بأخرى.

***

iCulture
Empowering creative minds

iCulture
Empowering creative minds

شارع جانبي

مكسورة كانت ومحطمة. مُلقاة على رصيف شارع جانبي تخرج منه على شارع مماثل. وجدتها في أثناء هرولتي خلفه. تتسارع خطاي لا لتسبقه، بل لتلحقه فحسب.

ألقاها أحدهم على الرصيف بعد شراء أخرى جديدة ربما. أو يجوز خشي أن تجرح أصابع أحد صغاره. محتمل أنه قصد بإلقائها هنا من نافذة غرفة نومه أن يبعدها قدر المستطاع عن يد زوجته؛ خوفًا أن ترشقه بها لتخرس لسانه في نوبات جنونه. أو أن تأتي إليه بمصيبة إذا فشلت في تصويبها نحوه فتلتقطها وتتجه به إلى وريدها لتقطعه.

في كل الأحوال كانت هي من نصيب لقائي الليلة. برغم مقبضها المنقوش بألوان زاهية تبدو عتيقة على أن تُلقى هكذا على رصيف شارع جانبي تخرج منه على شارع مماثل.

ألوان نقوشها الحمراء والصفراء تتقاطع مع حدة قُبح القطع في لوحها الزجاجي المصقول.

قطع حاد، فصل بلا تساوٍ تلك المساحة البيضوية المصقولة التي يرى فيها الناس وجوههم. الآن لن ترى كامل وجهك. سترى فقط نصفه بشكل غير متساوٍ. مبتور. أو ربما

iCulture
Empowering creative minds

مع إصرارك ستحاول فاشلًا أن تأتي بكامل وجهك في تلك المساحة المقطوعة بحدة إلى شطرين غير متساويين.

لا أنصحك بتلك المحاولة. سيأتي وجهك مضغوطًا بشكل مخزٍ، وربما لن تتعرف عليه أنت.

لم يكن يتسنى لي أن ألقاها لولا أنه وقف ليقول لهم «مجنونة»، يقصدني. قالها فقط لأني حاولت بغباء قطع حبل المسبحة السميك، التي أهداها إليَّ يومًا، ذلك الذي تتوالى فيه حلقاتها الخشبية الصغيرة تنزلق من يدي التي امتزج فيها العرق بمحاولات كف الدموع. حاولت قطعه بقوة أكبر أثبتت فشلها أيضًا، فقررت خلعها عن معصمي، وأن ألقي بها بعيدًا تحت أرجل المارة القليلين في هذا الشارع الجانبي الذي تخرج منه على شارع مماثل، والذي أهرول فيه خلفه، لا لأسبقه وإنما فقط لألحقه.

ربما يلتقطها أحد المارة ليأخذها أو يهادي بها دون أن يعرف تاريخ شرائها القريب، أو مناسبته السعيدة، أو حياتها في معصمي وبين رؤوس الأصابع.

فقط كنت أتخلص من أحد الأدلة على غباء تورطي وهرولتي في هذا الشارع الجانبي الليلة.

ألقيتها، وألقيت نظرة أخيرة عليها وهي ترقد وقد توقف تسبيحها في الفضاء عالقًا حائرًا لا يصعد ولا يهبط. هل

iCulture
Empowering creative minds

يصعد إلى أهل السماء ليُكتَب ويشهد أم يهبط ليؤنسني في غربتي ويربت على قلبي قليلًا؟

بجانبها، كانت ذات اللوح المصقول المبتور ترقد مُحطَّمة مكسورة هي الأخرى بمقبضها الزاهي العتيق، مُلقاة على رصيف شارع جانبي تخرج منه على شارع مماثل. ستكره نفسك غالبًا إذا نظرت إلى الجزء الموجود وقد تحطم هو الآخر إلى فتات من زجاج لن يقتات عليه أي كائن حي، فتات جارح كمخالب الصقور.

***

iCulture
Empowering creative minds

iCulture
Empowering creative minds

صباحك نادي

«يا صباح الخير يا اللي معانا ... يا اللي معانا ... الكروان غنى وصحَّانا ... وصحَّانا ...»

أغنية الصباح، تنطلق عاليًا من مذياع عم صبحي، في تلك الحارة التي تتوارى خلف أحد أشهر المولات المطلة على نهر النيل، ليتوحَّد صوته مع أصوات بقية الأجهزة في أغلب تلك البيوت في هذا الصباح «النادي» بعد ليلة شتوية قارسة البرودة، عصفت بلسعاتها القلوب التي لا تجد من وسائل الدفء إلا مواقد الجاز، وتركت سيول الأمطار بصماتها الرطبة على الأسطح التي تتكدس -على ضيقها- بممتلكات أصحابها الفقيرة.

«صباحك نادي يا زينب. يلَّا حطي حاجة على راسك وانزلي هاتي الفطار من عند عمك صبحي.» تنظر إليها زينب في استسلام يومي.

«إنت يابني ... أنا هادِنّي أصحي فيك لغاية إمتى؟! قوم فِز عشان تلحق مدرستك ... والله ما إنت نافع.»

تسحب زينب كل ثانية الطرحة السوداء التي ألقتها على رأسها، تندفع إلى الوراء فتسحبها إلى الأمام لتعود ثانيةً إلى

iCulture
Empowering creative minds

الخلف. تتعثر في ذلك الشبشب الذي رُقِّع عدة مرات، فتكاد تنكفئ على وجهها. تلم أطراف تلك العباءة السوداء متفادية هواء الشتوية اللاسع خصوصًا في هذا الصباح «النادي».

«صباحك نادي يا زينب.»

جملة تسمعها خلال مشوارها اليومي إلى عم صبحي عدة مرات من المارين والجيران، فلا تملك إلا أن ترسل ابتسامتها الدافئة ونظرتها الحزينة إلى آذانهم.

تتماسك حتى تصل إلى عم صبحي.

«أهلًا يا زينب يا بنتي. والله إنتي بنت حلال ... أنا لسه مطلِّع طرحة الطعمية السخنة أهي. خدي يا بنتي ... صباحك نادي.»

تعودت أن تسمع الكلام نفسه وبالترتيب والسرعة ذاتهما، فيوفر عليها عبء الرد بتلك النظرة الممتنة؛ لأنه بالفعل انتقل إلى غيرها بكلامه الطيب.

تذهب عيناها يمينًا ويسارًا بحثًا عن أي منفذ تتسلل منه وتنحشر فيه وسط التجمهر اليومي أمام فرن «الملوك»، لا تملك سوى يديها، بل هي يد واحدة؛ فالأخرى قابضة بإحكام على ورقة الطعمية وكيس الفول، والأولى تمتد لتفسح لها الطريق وسط صراخ الناس الذي يتصاعد

iCulture
Empowering creative minds

بفوضى منظمة. تنعشها رائحة العيش البلدي التي تنعش صباح القلوب. وأخيرًا تصل إلى مبتغاها، فتندفع إليها خمسة أرغفة، تدفئ ما تستطيع من يديها، اللتين قاربتا على التجمد، في سخونة «لقمة العيش».

تهرول إلى البيت ذي الطابقين وقد وقعت الطرحة من على كتفيها، ليلتقطها أخوها الأصغر في اللحظة الأخيرة بمجرد وصولها إلى سطح البيت الممتد أمام غرفة معيشتهم.

«يلَّا يا زينب قومي يا بنتي رتبي المطرح ... أختك وجوزها جايين ع الضُّهر.»

تبتلع زينب آخر لقمة في يدها، وتهم بصحن الفول وورقة الطعمية إلى زاوية الحجرة.

تتوقف قليلًا، تحدق في تلك الورقة التي كانت بيضاء قبل زيت الطعمية. ورقة كراسة قديمة كتلك التي كانت يومًا لها قبل أن يحدث ما حدث. ظلت ممسكة بالورقة وكأنما أصابتها قسوة برودة اليوم بتجمُّد مؤقت.

«فيه إيه يا أم زينب؟ يا ساتر يا رب! إيه اللي حصل ياختي؟! مالها زينب كفا الله الشر!»

زينب في وسط الحجرة، ممسكة بالورقة البيضاء بكلتا يديها، تدور وتدور وتدور في هستريا من البكاء الضاحك والضحك الباكي، المكتوم.

iCulture
Empowering creative minds

يحتشد الجيران عند سطح البيت، ينفذ من بينهم شخص ممسك بحقيبة سوداء يخترق الجمع في سرعة.

- الحقنا يابني إلهي يسترك!

- خير يا خالة ... اطَّمني إن شاء الله. إيه اللي حصل؟! تروي له ما حدث منذ الصباح «النادي».

- خير يا أمَّه ... إيه اللي حصل لزينب؟!

- اسكت ... وطِّي حسَّك. الدكتور موريس ادَّاها حقنة تنيمها.

بهدوء حذِر، تسحب أم زينب ورقة الطعمية من بين يديها. لحظات أخذت تتأملها. «يا عيني عليكي يا بنتي وعلى اللي صابك! حتى الشكية اتحرمتي منها ... منه لله اللي كان السبب.»

«خُد شوف الورقة دي فيها إيه ... من ساعة ما مسكتها وصابها اللي صابها وما حدِّش عرف ياخدها منها!»

س1: اكتب في أحد الموضوعات التالية:

أ- العشوائيات وأثرها في الحياة الاجتماعية والنفسية لساكنيها، في ضوء تلك القضية التي أثارت الرأي العام، والتي قام فيها أحد الأزواج «سعيد الكومي» من سكان هذه المناطق، بعدما أصابته حالة هستيرية فقد فيها وعيه،

iCulture
Empowering creative minds

بقطع لسان زوجته «زينب صابر»، وعندما سُئِل عن السبب قال: «كل يوم تقول لي «صباحك نادي ... صباحك نادي» هو فين الصباح النادي ده؟ مش بييجي ليه؟!» وأُودِع مستشفى الأمراض العقلية بالعباسية.

ب- قصة قصيرة عن معنى ذلك البيت الشعري لإيليا أبو ماضي:

«كُن جميلًا ترَ الوجود جميلًا».

***

iCulture
Empowering creative minds

iCulture
Empowering creative minds

الصفحة قبل الأخيرة من مذكرات والدتي في جزئها الأول.

حدث بتاريخ 5 أكتوبر 1981

عجوز بحكم السن، لكن من يراها يبتهج. سمارها الرائق في وجه لا يكف عن الابتسام يجعلك تحتار في تحديد عدد السنين والحساب لهذه السيدة، سيدة.

تتلفع بوشاحها الأسود الذي يفضح ما تحته من أزرق مُزيَّن بورود حمراء وفروع خضراء كبيرة. لا ترتدي جلبابًا، هو جِيب أسود واسع بأستك رفيع على الوسط المكتنز، ليس بحمية غذائية، بل لطبيعة جسم زادته السن صغرًا. أجذب منها الكلام جذبًا. فإذا ما سمحت بفتح خزانة الحديث، أقتنص الفرصة وأسأل. وإلا هو الصمت والابتسام. ريفية الحديث وتكسير الحروف والكلام عندما يقترن بما تقول، فتحتار.

- عِشتي فين يا أبلة سيدة؟

تبتسم وتقول:

- بلاد الله.
- أستاذ محسن قال مرة إنه من طوخ.

iCulture
Empowering creative minds

– آه من الدير، بس أخويا ما قعدش فيها. أنا أسبقه بعشرة أعوام، لكن هو يبان أصغر.

يأتي زبون تلتهي معه في الحديث عن شكل القميص الذي يريد. أعود إلى دكاني المقابل وأجلس أنتظر إحدى الزبائن. عيني على أبلة سيدة. لا يصلني كلامها، لكن أراها تبتسم. تتحرك بخفة في حذاء أسود بلاستيكي. تمسك إحدى البذلات الرمادية اللون وتتباهى بجودة القماش. أخمن أن الزبون يفاصل في الثمن بينما هي وراء الصندوق الخشبي عالي المقام فلا يكاد يظهر منها إلا وجهها. يناولها عدة ورقات وتودعه بابتسامة.

– ما تيجي تنقّي لك طقم من عندي يا أبلة ومش هاخد منك فلوس.

تضحك بنور:

– لأ، وأقلع الأسود؟! هذا ما لا يجوز.

– ليه بقى؟! هو إنتي متعلمة يا أبلة سيدة؟

تتسع حدقتا العينين السوداوين:

– طبعًا.

– كان فيه على أيامكم علام هناك؟

– قليل، لكن أبويا دخلني معهد البنات. كنت بنت عمدة يا زبيدة.

iCulture
Empowering creative minds

– طب والعريس؟
– اتأخَّر بلوغي عن بنات البلد. ولما بلغت جعلوا زفافي مع قطف محصول الفراولة. اتجوزت بنت 18. تاجر جمال. كان ابن عز.
– مات؟!
– كان لا يناديني إلا بقول «يا سيدة».
– طب ما هو إنتي اسمك سيدة!
– لا، كان يقولها لي من باب التفخيم. لا يقول «سيدتي» بل «سيدة». في المطلق. فلا ينسبني إلى شيء قد يكون أصغر.
– والنبي ما فاهمة منك حاجة. يعني اترمِّلتي من زمن؟
– وحده عالم الحي من الميت. عافر ليروح مع كسوة الكعبة في آخر المحمل، وكانت المرواحة. لا جه ولا راحت الكسوة تاني من هنا.
– ده من زمن! كنت أسمع ستي تحكي عن الموكب. خلِّفتي منه يا أبلة سيدة؟

تتوه عيناها إلى أقصى اليسار كلما أربكها سؤال.

– تلات بطون. الكبير اتدروش وراح زي أبوه في أرض الله. واللي بعده ما لقاش له مأوى إلا القرش راح يدوَّر عليه. والبنت ماتت لما اتكتب عليها الكتاب.

iCulture
Empowering creative minds

تدخل زبونة إلى دكاني المقابل، فأُضطَرُّ إلى الاستئذان، وأجده مهربًا من رد لا يشفي المواجع التي ارتسمت على وجه بنت العمدة. تهرب الزبونة بدخول موظف الحي الجديد الذي يقوم بمراسم توليه الأمور أمام الرعية. بلهجة لا تخلو من تهكم يقف بقامة لا تطول، ربما لا تختلف كثيرًا عن قامة أبلة سيدة، لكنها رغم ذلك ظهرت من أعلى رصيف دكان الباشا أطول.

– أهلًا يا باشا! وإنتي بقى بنت الباشا ولا شغالة عنده؟

– أنا الباشا يا محترم.

– لا حلوة. إنتي مين؟ اخلصي.

أتدخل بحزم:

– الست سيدة أخت أستاذ محسن صاحب الدكان.

– وفين سي محسن ده؟ فين الورق يا ست بتاع المحل؟

لا تحرك سيدة قدمًا. تقف ساكنة. تقدم اليسرى على اليمنى وتعقد كفَّيها على طول ذراعيها. وجهها جامد لا حراك فيه كأنها تمثال من شمع أسمر.

ألتف حولها إلى الداخل وأجلب رزمة من الأوراق من درج الصندوق الخشبي، أقذفها في يد المهرج الجديد. يتلقفها بازدراء وينظر فيها على عجل، ثم يرميها على صدري وهو يتحسس بلسانه شفتيه.

iCulture
Empowering creative minds

– وإنتي فين الورق بتاعكم؟

أنكمش بين العصابة المسلحة بالشوم وأدخل دكاني. أقذف من جديد أوراق دكان أبي المتهالك على أعتاب المهرج القصير القامة. يتلقفها بازدراء وينظر فيها على عجل ثم يرميها على صدري من جديد، ويسحب زمرة الوجوه الكالحة خلفه إلى الحارة الجانبية ليعيد المشهد مرة أخرى. تظل لثوانٍ على هيئتها تتابع ببصرها ذاك القصير، ثم يستعيد التمثال حياته بابتسامة.

فترة الراحة، تمتد يد سمراء نحيلة العظم لتغلق الجرار المعدني إلى النصف، بينما تتشبث الأصابع بكيس بلاستيكي يحوي لقيمات.

– فيلم إيه ده يا زبيدة؟

– الليالي الطويلة يا أبلة، بتاع نادية لطفي، شوفي حلوة إزاي!

– علَّقي ع الشاي بلا هم.

أضحك، وأتناول البراد الذي يكفي بالكاد كوبين.

(جزء من حوار الفيلم)

– *يا بنتي إيه اللي يخلي الست صاحبة بيت ومطمنة لنفسها إلا الأولاد؟!*

iCulture
Empowering creative minds

- *وحياتك يا ست أم نهال أنا بعد ما خلفت حطيت صوابعي العشرة في عينيه ولا سألت.*
- *يا جماعة أنا قلت لكم إحنا مبسوطين كده.*
- *خلاص إنتي حرة ... بكرة تفوقي لنفسك وتعرفي إن الله حق.*
- *إي والنبي صدقتي ... هيَّ الواحدة منا تنسى إنها ست وإن دي شغلتها؟*
- *خلاص هيَّ مش صغيرة ...تعرف شغلها بقى.*
- *وهُمَّ دول مش أولاد وماليين عليَّا البيت يا ماما؟!*
- *قال يا مربي في غير ولدك يا باني في غير ملكك! هو ابنك يبقى ابنك بصحيح إلا لما تجبيه من فوق كراسي قلبك؟!*

تنطق سيدة بشرود:

- الترائب.
- نعم! بتقولي حاجة يا أبلة؟
- عارفة يعني إيه كراسي القلب يا زبيدة؟
- لأ.
- لما تتجوزي هتعرفي.

أضحك بخبث.

iCulture
Empowering creative minds

– لا والنبي قولي.

– ربنا بيقول «من بين الصلب والترائب». صلب الرجل ظهره، وترائب المرأة عظام الصدر، كراسي القلب.

أسكت بانبهار تصحبه خيبة.

– – إنتي حكاية يا أبلة سيدة!

– كملتي تعليمك لحد فين يا زبيدة؟

– إنتي بتنسي؟! ما أنا قلت لك. هُمَّ كام سنة في التوجيهي وأبويا خرجني أقف معاه في الدكان.

– مش إخواتك خلاص اللي اتجوزت واللي سافر؟! كمِّلي يا زبيدة.

– هعمل بيها إيه؟ بلا خيبة! ما أنا كل الزباين مستوظفات، وأهو على إيدك ... تيجي الواحدة من دول تنقي وتفلي وتفاصل وتقاوح وتمشي. فين وفين لما حد ياخد ومن غير شكك. ألا هوَّ الاستاذ محسن ما بيجيش كتير ليه يا أبلة؟

– مشاغل. في بحري مع مراته وولاده.

– آه، عمتها بقى وتلاقي فيه مشاكل.

بشرود:

– عمة مين؟

– مراة أخوكي ... مش بتقول لك «يا عمة»؟!

iCulture
Empowering creative minds

– آه آه. أنا هقوم أفتح. الوقت اتأخر. بالإذن.

***

الصفحة الأخيرة

حدث بتاريخ 6 أكتوبر 1981

صفحة مقطوعة بالكامل يقابلها نصف مُمزَّق كُتِبَ فيه:

ينقطع الإرسال فجأة لتظهر لوحة القرآن الكريم. تدوي جلبة في السوق. أُهرَع إلى الخارج. أجد الجميع حول أجهزة التلفاز المستوردة في دكاكينهم. أعود. يأتي الصياح من كل أرجاء المكان.

– ضربوه بالنار ... ضربوه بالنار ... ضربوا الريّس بالنار.

– الحقي يا أبلة ... ضربوا السادات بالنار.

تشرد سيدة وتترنَّم بنواح البواكي

– قتلوا الصبي قتلوه. في الميَّه يوم ما غمسوه. بارك خطانا سيدنا النبي. عيسى ومحمد يشفعوا.

***

ينتهي الدفتر، وأتوجه به إلى أمي. كعادتها مذ داهمها المرض، تجلس إلى مكتبها الصغير ولا تقوم إلا قليلًا.

– إيه يا زبدة بتقري في إيه؟

– رسالة بشرف عليها. وإنتي إيه في إيدك؟

iCulture
Empowering creative minds

– براجع جزء من المذكرات. دار النشر كلمتني النهارده وقالت لي أجهزها.
– إنتي لسه مصممة على موضوع النشر ده؟!
– أيوه. لما تبقى قصة د. زبيدة الحلواني يبقى تستاهل تتنشر.
– دي قصة سيدة مش زبيدة.
– إنتي قلتي لي إنها ماتت بعدها بيومين.
– صحيح. يومها الصبح وصل محسن. جالي الدكان على غير عادته قبل ما توصل سيدة، وسألني عن حالها وحال الشغل، وطمنته إن الرزق على إيدها جاري. فاجئني إنه هيصفي البضاعة ويقفله. قلت له «أحسن ... تريحها وتاخدها معاك وولادك يشبعوا من عمتهم».
– عمة مين؟
– أبلة سيدة! أختك يا سي محسن!
– سيدة مراة المرحوم أبويا. اتجوزها على كبر ومات. ربنا ما رزقهاش بولاد، وإخواتي استتقلوا وجودها، وأنا استحرمت أسيبها. مسِّكتها الدكان تسلي نفسها ورزقه تعيش بيه لحد الأجل ما ييجي.
– كلنا عارفين إنها أختك، وهي حتى كلامها غير كده!

iCulture
Empowering creative minds

- أبوكي الله يرحمه كان عارف، والناس الكبيرة هنا عارفة، بس محدِّش كان بيتكلم. ولما الكبار راحوا راحت معاهم حكايات وحاجات كتير.
- بس كلامها عن ولادها وجوزها بتاع المحمل و...
- كل ده كلام. من زمان حواديتها كتير ومحدِّش عارف لها حاجة.
- طب وأهلها فين؟
- مالهاش حد. ده اللي أبويا قاله يوم ما فاجئنا إنه هيتجوز بعد وفاة أمي، وسكتنا لأنها كانت كبيرة وقاطعة الخلف. قلنا تونِّسه ما يضُرِّش، وخدت ميراثها منه شقة صغيرة تكفيها وتبقى لينا بعد عمر طويل.
- يا لهوي يا أبلة سيدة! دي سرحت بيَّا سرحة لسه أقربها امبارح بس!
- الله يتولاها. أنا لولا الظروف كنت سِبت الحال زي ما هُوَّ. بس الولاد بيكبروا والمصاريف بتزيد.

جرس موبايل يقطع استرسال زبيدة في الحكي. مكالمة سريعة من الناشر يطمئن على بداية د. زبيدة في كتابة الجزء الثاني من المذكرات التي لاقى الإعلان عنها استحسانًا كبيرًا من الوسط الثقافي والجامعي.

- هي ماتت إزاي؟ هي عرفت إنك عرفتي؟

iCulture
Empowering creative minds

– ما عرفتش، لكن أظنها حست. دخلت علينا وإحنا بنتكلم. كانت مبتسمة زي عادتها، وأول ما شافت محسن بقت في دنيا تانية كأنها رجعت من سفر.

– ماتت إزاي؟

– غابت تاني يوم والدكان ما اتفتحش. قلت يمكن خافت من قلبة البلد أيامها بعد اللي حصل للسادات. تاني يوم برضه ما فتحتش. قلقت ورُحت أشوفها. قفلت الدكان بعد العشا. رُحت لها في الخليفة. كان النور قاطع. قلبي اتقبض وأنا طالعة بس قلت الواجب يا زبيدة. لقيت بابها موارب. سميت ونديت محدِّش رد. كانت ريحة الفراولة معبَّقة الشقة. لسه بعيد الندا النور جه وقلبي طب. على ترابيزة صغيرة لقيت صندوق فراولة مفتوح. دخلت الأوضة لقيتها نايمة ووشها منور. عرفت إنها سلمت الروح.

– بس ده مش موسم فراولة!

تضحك زبيدة:

– ولا أعرف. ما تسأليش.

– هو ده صندوق الفراولة اللي بييجي لنا كل سنة؟!

تبتسم زبيدة:

– الظاهر كده.

iCulture
Empowering creative minds

iCulture
Empowering creative minds

عودة

ظل يطلق صفيره، وقرعه لإناء معدني فارغ. ظل رافعًا راية بيضاء يأتي بها يمنة ويسرة، علَّه يأتي بكل سرب الحمام الذي أطلقه في لحظة. كان في قلبه من الإيمان أنه سيعود إليه. هكذا تعلم من سابقيه؛ أن ما تطلقه سيعود إليك، فقط إن كان لك حقًّا. تعلَّم ألا يخشى الرحيل والغياب؛ فالعودة مأمونة الحدوث، إن كانت من المكتوب في كتاب السماء.

في كل مرة يطلق سرب الحمام يراوده الشك. يقاومه بما عهد عليه قومه من إيمان. لكنه في هذا اليوم كان يسكنه الخوف. خوف دفعه للبقاء على صفيره وقرعه لإناء معدني فارغ مدة طويلة من الوقت، دفعت برؤوس الجيران خارج الشرفات والنوافذ لمعرفة سر هذه الجلبة الآتية من برج الحمام. يطرق بجنون الخوف من ألا يعود إليه سرب الحمام الذي أطعمه وسقاه.

قالت له ذات مرة إنها إن قررت الغياب فلن تعود. إنها ليست كسرب الحمام؛ يطلقه بأمان العارف موعد العودة. فليُصفِّر كما يشاء، وليقرع الإناء المعدني الفارغ كما يحب،

iCulture
Empowering creative minds

وليظل يؤرجح رايته البيضاء يمنة ويسرة كما استطاع، لكنها لن تعود.

يود لو أن يُقبِّل يد القدر الآن لكي يعود سرب الحمام. نوى في قلبه لو أنه عاد فلسوف يطعم عشرة مساكين. ستكون مصيبة ألا يعود سرب الحمام. هل يبلغ نكران الجميل كل هذا الحد؟! بعد كل هذا الحب الذي وهبه لها في كل لفتة عين! هل يعقل ألا تعود؟!

تركته أنا من مكاني هذا، مستندة إلى أحد أعمدة معبد يوناني قديم قائم في مسجد القاضي زين الدين يحيى، الذي لم يكن قاضيًا ولم يكن زينًا للدين، أتابع لحظات جنون وخوف في برج حمام، من فتحة في جدار يبلغ من العمر مئة إلا عشرين عامًا.

***

iCulture
Empowering creative minds

غرفة الألم

لم تكن برودة هذه المساحة من المعدن، التي يرقد فيها جسدي الآن، هي كل آمالي من هذا اليوم الذي سيطول كثيرًا، والذي بدأته في السابعة صباحًا.

كان من المقرر أن أكون الآن على مكتبي الصغير أكشف على أحد مرضى العصر الحجري هنا في هذا الجانب الآسيوي من العالم، أو أستقبل آخر، أو على أسوأ تقدير أرتب حقيبتي السوداء لأذهب إلى الشقة المستأجرة فأرقد هناك وحيدًا أيضًا.

وافتني المنية عصر هذا اليوم في غرفة الألم، حيث هممت بجلب اللعنة التي لم تتوانَ في الكشف عن نفسها، وكأنها سئمت من التواري وقررت أخيرًا أن تؤدي دورها في الحياة فتصيب أحدهم، فكان هذا هو أنا.

أتخيل الآن حالة الانتظار التي تهيمن على ملابس نومي المطروحة على حافة السرير، تنتظر هي الأخرى أن تؤدي دورها في حياتي. لكنها لا تعلم أنها قد أُعفِيت أخيرًا من الخدمة.

iCulture
Empowering creative minds

أتخيل أيضًا حالة التساؤل التي تشغل نصف الدجاجة المشوية التي تستلقي في سلام بعد عتقها من النار في برودة مماثلة لما أنا فيه أو أقل قليلًا.

حذروني كثيرًا ألا أُعلِّق ساعة الحائط هناك برغم تكرار الطلب من كل الزائرات، صاحبات الألم. دومًا يُواجَه طلبهن بالرفض. إلا أني أشفقت على نفسي من رؤية الألم في كل هذه العيون، حتى أجبرتني إحداها فقررت نسف الأسطورة وإبطال وهم اللعنة التي تقول «لا تعلقوا الساعة على الجدار في غرفة الألم».

علمت الآن أن رفض طلبهن لم يكن لشيء إلا إشفاقًا على أنفسهم من بكاء بنات فارس الذي ستتصاعد وتيرته مع دقات الساعة؛ فنبرة الصوت الجرسية إذا ما اقترنت بالنحيب، فالناتج لا يمكن احتماله. وحدها اللعنة هي التي تصدق في إشفاقها عليهن. انتظار رحيل الألم وعدُّ ساعاته هو عذاب إضافي لا تستحقه بنات فارس ولا بنات حواء كلهن.

برغم ذلك، وبرغم اللعنة، خلعت عن حائط مكتبي الأصغر، في الدور الرابع من مبنى الولادة في المستشفى الحسيني بطهران، تلك الساعة ذات المينا البيضاء التي تشابه في استدارتها قرص الشمس وبطون الحوامل.

iCulture
Empowering creative minds

أخذتها تحت ذراعي كما كان أبي يحمل جريدة الصباح، لكني خبأتها تحت البالطو الأبيض بإحكام. توجهت بخطوات النبي المُرسَل إلى غرفة الألم، محط الانتظار وحلقة اعتصار الألم لقطراته الأخيرة التي لا تنتهي. هناك كانت ترقد «شفقة» بعد أن نامت أخيرًا بعد طول نحيب. وكان وجهها هو آخر ما وقعت عليه عيناي من وجوه البشر.

صعدت في هدوء على أحد المقاعد، وفي اللحظة التي استقر فيها المسمار داخل فتحة التعليق الصغيرة خلف المينا البيضاء، هي نفسها اللحظة التي شهقت فيها «شفقة» فزعًا من صوت دقة الثالثة، هي نفسها اللحظة التي صُعِقت فيها دون أي تيار كهربائي، فارتميت على ظهري على بعد متر تقريبًا وفارقت الحياة.

يقول العلم ببقاء الوعي لثوانٍ بعد الموت. ويقول الناس إنك ربما الشرير في رواية أحدهم. بناءً على ذلك وبتحوير بسيط، فقد كنت الغبي في رواية البعض، وكنت الأحمق في رواية البعض الآخر. لكني كنت الطيب في رواية «شفقة»، وكان هذا يكفيني.

في لقائنا الأول، اعتذرت هي عن ركاكة إنجليزيتها، فطمأنتها أن مستوانا متقارب. كانت في شهرها الخامس وفي عامها الثامن عشر. لو وافقت نيرمين على الزواج في طلبي

iCulture
Empowering creative minds

الأول لها من عشرين سنة، لربما كانت لي ابنة في عمر هذه الأم الصغيرة الآن.

اليوم هي في شهرها الثامن وعلى وشك الوضع المبكر. عند وصولي إلى المستشفى صباحًا، وجدت «طاهرة»، أختها الكبرى، تنتظر على باب المكتب. قالت بذعر: «أدخلوها غرفة الألم.» يا له من وصف!

دخلت إليها، فوجدت جسدها الهزيل، الذي قد تتعجب كيف يحتمل هذا الجنين داخله، مُمدَّدًا. سألتني بحذر من بين دموعها: «لماذا يسمونها غرفة الألم؟ ألم يكن هناك اسم أفضل؟» لم أجد جوابًا يقنعني أنا شخصيًّا، ولم أزل جديدًا نسبيًّا على بلاد فارس لأعرف منطق الأشياء فيها، بجانب أني من بلد أطلقت أيضًا على مكان استقبال المواليد اسم «الجلاء».

طمأنتها أن «حس الكآبة واحد عند بني آدم يا صغيرة، فلا تقلقي. دعينا نخرج هذه النبتة الطيبة من رحمك يا «شفقة»، ولننظر فلربما يتغير العالم، أو لا يتغير».

أعتذر لك يا نيرمين على تهوري المعتاد. لم أكن أنتوي للعنة أن تصدُق عليَّ من بين كل أهل طهران هذا اليوم. أنا الغريب الشريد وسط عيون بنات فارس الساحرة، وللحق عيناك هما اللتان قادتاني إليهن.

iCulture
Empowering creative minds

إلى ما قبل الآن بخمسة أشهر، عرضت عليك الزواج ربما للمرة العاشرة بعد الألف منذ لقائنا الأول أمام جدول محاضرات «أولى طب عين شمس». على مدار 40 سنة، فشلت محاولات إقصاء أحدنا الآخر من حياته. ورغم ذلك، عنادك في تأجيل أمر الزواج مستمر. توالُد الحجج والمبررات عندك مهر، كعينيك اللتين تُفشي سر أصولك الفارسية رغمًا عنك.

اتهامات عديدة طالتك يا حبيبتي. كنت أسمعها بأذني وأحاربها بقلبي ثم بلساني بعد أن افتُضِح أمر هيامي بك. بدءًا من متبرجة، شيعية، ملحدة، من عبدة النار، وليس ختامًا بالشيوعية. قيل فيك الكثير، فكنت كبنات الأساطير التي احتارت فيهن العقول.

«شفقة» تشبهك إلى الحد البعيد. مضى على وجودي هنا في موطن والدتك خمسة أشهر تقريبًا. رأيت ذوات الجمال الفارسي، إلى أن قادتني «شفقة» إليك من جديد بملامحها الطفولية من ثلاثة أشهر فقط. أحيت في رغمًا عني صورتك، فوجدتني أرعاها في حملها الأول كما يرعى الأب الشفوق ابنته الوحيدة.

ربما لست كبيرًا في السن إلى هذا الحد، وهو ما جعلني أحتاط في معاملتي لها حتى لا يُساء فهمي. بررت أمر

iCulture
Empowering creative minds

اهتمامي بمدى الشبه بينها وبينك، حيث جعلتك أختي الوحيدة في روايتي لهم.

من المؤكد أنها الآن حزينة ومتعبة، بل ربما حان موعد ولادتها كذلك. ليتني كنت هناك. ليتك لم تتوسلي إليَّ أن أضع ساعة على الجدار حتى لا تتوهي في مدارات الألم يا «شفقة».

بل ليتك لم تهربي يا نيرمين فأُضطَر إلى المجيء والبحث عنك. بل ليت أباك لم يأخذك عنوة من حضن أمك فتكرهيه وتكرهي من بعده خوفك من كل الرجال. لم أهمَّ في أمر البحث عنك كما يجب. هبطت طائرتي واستقر مقامي، فحاوطتني عيناك في كل العيون. هل ارتضيت طيف خيالك عنك؟!

سامحت لأجلك أبي على إرغامه إياي على إكمال مسيرته كطبيب، فلولا ذلك لما التقيتك. وسامحته ثانيةً عند مساعدته لي بالتوسط عند بعض أصحاب النفوذ للسماح لي بالسفر والمجيء إلى طهران، بل والعمل بها. جئتِ بحثًا عن أمك، وجئتُ أنا بحثًا عنك.

صوت أقدام أخيرًا يقطع صمت الموتى المتفرقين في الفرش المعدنية حولي. أكاد أجزم أن هذا هو كامل مع آخر أجهله. رائحة التبغ الذي أمقته، والذي كدت أجازيه للمرة

iCulture
Empowering creative minds

الثالثة على تدخينه له في جوانب الطابق الرابع المتوارية. خلق ذلك نفورًا مُتبادَلًا من اللقاء الأول، أرجو ألا أدفع ثمنه الآن.

خطوات انسحابهما بعد نوبة من الضحك الهازئ أخفت ذلك الصوت الرتيب الذي بدأ في الإعلان عن نفسه؛ «تك تك تك تك تك».

هل هي الساعة نفسها التي خلعتها عن حائط مكتبي؟! المستديرة كبطون الحوامل؟! كبطن «شفقة»؟!

ماذا تفعل الثواني في حضرة الموت؟! ألا يتألم الموتى؟!

رجاءً لا تعلقوا ساعة على الجدار في غرفة الموتى.

***

iCulture
Empowering creative minds

iCulture
Empowering creative minds

كاتب الأرض الأول

في صحيفة كوكب الأرض، تلك التي تصدر يوميًّا من مجلس إدارة كوكب الأرض، كان يمتلك هو فيها عمودًا يوميًّا. لا يملؤه بمقال رأي ولا تحقيق، بل -ولأنه كاتب الأرض الأول- لابد أن تستيقظ الكرة الأرضية على قصة من إبداعه العظيم، انطلاقًا من أن القصة هي المادة الخام للحياة هنا، فلا بد أن نغذيها يوميًّا حفاظًا على استمرارية الكوكب. هكذا كان البند الأول في العقد المُدوَّن بينهما، هو كطرف أول ومؤسسة كوكب الأرض الصحفية كطرف ثانٍ.

اعتاد أن يقضي يومه لا يفعل شيئًا إلا تصفح الأخبار اليومية وجمع أبرز الحوادث والطرائف والنكبات من شتى البقاع. ثم ما إن ينتصف اليوم حتى يختار إحداها كمادة لقصته التي ينتظرها أهل الأرض يوميًّا بفارغ الصبر والحاجة.

حاول أن يستقيل من عمله مئات المرات بلا جدوى. هو لا يريد ذلك إلا لدفع السأم؛ فمخزون الأحداث والقصص قد استنفد جديده ولم يعد ثمة ما لا يعرفه الناس أو يتوقعونه. وهم -المؤسسة - كطرف ثانٍ لا يريدون ذلك،

iCulture
Empowering creative minds

ليس لكونه كاتب الأرض الأول ومؤسس العمل، بل لأنه هو -دون غيره- القادر على تحمل كل هذا السأم.

كلاهما إذن يعترف بالسأم كبطل خارق يكمن وراء استمرارية العمل ودفع الصحيفة للصدور، بلا سأم وبمنتهى السأم. هو ذاته السأم الذي امتص من جسده رحيق الحياة، وتركه كائنًا تبرز عظامه في تحدٍّ صارخ تحت طبقة من جلد سميك.

من مهام كاتب الأرض الأول أن ينتقي ما سيُغذِّي به أهل الكوكب من إمدادات الحياة الأولية عليها، وذلك في رشاقة دون انتباه إلى ما تطلقه مسام القصص التي تُعرَض عليهم كل يوم.

كان عليه توخي الحذر والدقة، فلا يفرط في الأمل ولا يفرط في الفضيلة. لا يفرط في الشر ولا يفرط في الحسد. عليه أن يزن كل المواد بميزان الذهب. اختلال النسب يهدد حياة كوكب الأرض، وهو ما سيُجازى عليه وفق العقد المُبرَم.

في يومه هذا الذي قرر أن يكون الأخير، قرر أيضًا أن يلعب لعبة يراهن بها، ليس على حياته فحسب، بل على حياة أهل الأرض جميعًا.

iCulture
Empowering creative minds

قرر أن يفعل أسوأ ما يمكن أن يفعله كاتب القصة. لا يدري ما هو على وجه الدقة، ولكن يكفيه شرف البحث والمحاولة التي ليس فيها أي شرف. ربما هو السأم ثانيةً، المفتاح الذي يطلق بعض الخبث الأدبي لخلق قصة تنعش السأم المقابل في قصص الأرض. شيء ما يحيي الدهشة التي وأدتها الكرة الأرضية من استمرارية الدوران. القصة اليومية التي تضع لأهل الأرض ميزانهم. هل يُعلي قيمة الشر والفساد، أم يُهوِّن من قيمة العدل والأمل؟ أخذ يفكر في أغرب ما عرف من قصص الأرض، تلك التي بلغت دهشته فيها حدَّ السماء ورفض القلم أن يكتب وقرر الخرس. يمكنه ألا يفعل هذا ولا ذاك، عليه فقط أن يثير السؤال. يجدد ثورات العقل أو يخلق هجينًا من شر يدفع الناس لمقاومته بسبل للخير جديدة. استغرقه التفكير حتى أنساه موعد تسليم عموده اليومي الأخير.

في تلك الغفلة، تجمعت تحت نافذته الكلاب، تعالى نباحها واحدًا وراء الآخر إلى الحد الطارد من طور التفكير. بلغ به الغضب حدَّ الجنون. حاول أن يصم أذنيه عنها، أن يخرسها أو يطعمها أو حتى يقتلها ولو في مخيلته. قام وفتح نافذته ونظر ماذا أهاجها كل هذا الحد. ضرب الهواء بقوة صفحة وجهه. جاهد ليقاوم ولينظر، وجدها مجتمعة على شيء رآه ضئيلًا. جاء بمنظاره ودقَّق. كلاب الأرض تجتمع في

iCulture
Empowering creative minds

ساحته. قرر أن يقذفها بشيء يُفرِّق جمعها. تفقَّد المكتب الخالي إلا من رزم الأوراق، كلٌّ منها قصة، هي حصيلة عمر الأرض.

تفقَّد قلمه فلم يجده. هبت ريح عاصفة، كدوامات الغضب. تطايرت كل الصحف، تصعد إلى السماء. حاول جاهدًا أن ينقذ منها شيئًا. أخذ يجري كالمجنون وراء واحدة فأخرى، حتى باء بالفشل.

لا يهم، سأكتب أخرى. أين القلم؟ بئس كاتب القصة أنا!

تلاشت العاصفة وصمتت الكلاب، وتفرقت. قام ونظر وقد أصبح هيكلًا من غضب وجنون. وجده هناك، تحت أقدام الكلاب. تكسَّرت سنُّه وسال حبره وخسف قمره. فهم الرسالة؛ أنه أخيرًا قد أُقيل من عمله ككاتب الأرض الأول، أنه من اليوم قد أصبح قصة سيرويها خليفته.

***

iCulture
Empowering creative minds

لم يُستدَل على العنوان

نزل هائمًا على وجهه. لا يعرف وجهة محددة لقدميه يدفعهما إليها. هادئ غير عابئ بصراخ رئيسه في العمل أن يعود ليحدثه كما يفعل الناس.

تحديدًا في الثانية عشرة ظهرًا إلا دقيقة، كانت هي الأخرى تنزل وقد عرفت ما تنوي فعله بحياتها. قرار واضح كما لم يكن في يوم، بسيط كما لم تتخيله أن يكون.

كان غير عابئ، وكانت مُعبَّأة حتى النخاع. في الحيز المائي نفسه من ناحية متطرفة من الكورنيش الممتد، تلاقت آثار الأقدام، بلا اتفاق وبلا معرفة.

لامبالاته كمن انتشى بأفخر أصناف التخدير دفعته إلى الوقوف مستندًا إلى السور الصدئ. ملابسه الأنيقة ورباط العنق المتحرر من عقدته المعتادة، لفتا أنظار المارة القليلين في أشد ساعات النهار قيظًا من شهر أغسطس.

من أعلى حيث يقف، رآها أسفل قدميه، تجلس على أقرب الصخور إلى حافة النهر الساري غير العابئ بشيء حدث أو سيحدث. عقلها كصخر أملس، نعومته تفوق الخيال. لم تكن في مثل هذا السكون من قبل، وربما لو ألقى

iCulture
Empowering creative minds

أحدهم داخلها إبرة لانطلق الصدى يعوي في كل الأرجاء. تحييد غير مقصود لكل إشارات الحياة.

تناولت طرف أحد الحبال السميكة التي تربط إحدى العوامات في طرف الحافة، وأخذت في حل العقد حتى حررت طوق النجاة. وهكذا فعلت في أخرى. تناولت صخرة متوسطة الحجم نسبيًّا وأحكمت فيها جزءًا من الحبل السميك. ما تبقى منه عقدته ربما أربع مرات حول الكاحل، وكذلك فعلت بالساق الأخرى بصخرة أخرى متوسطة الحجم نسبيًّا. نظرة إلى السماء تلتها نظرة بانورامية عادت فيها إلى الوراء.

التقت عيناها به أعلى السور. لا يحمل وجهه أي تعبير يمكن أن ينذرها باحتمالية الفشل في تقرير مصيرها. ظنت لبرهة أنه تمثال من شمع، أو ميت ينتظرها على الضفة الأخرى.

نظراته الثابتة حملت إليها سؤالًا غير منطوق: هل حقًّا تريد ذلك؟ ثبات نظرتها حمل عنها الجواب؛ أن نعم. أومأ برأسه. منحته ابتسامة، ثم رحلت هبوطًا تسري مع التيار غير العابئ.

عاد هو إلى رئيسه الذي قد آلمه حلقه من الصراخ.

***

iCulture
Empowering creative minds

مأزق قطة

أرقبها من أسفل. يغلب سواد جسدها أبيضه في تحدٍّ عجيب. تتسلق قماش الخيامية الذي يغطي أكثر جذع الشجرة. مائل حتى يُخيَّل إليك أنه سيقع على الجالسين تحته، إلا أنه يميل في تحدٍّ محسوب ضد الجاذبية. بعد أربعة أمتار، تكاد تصل هي إلى تفرُّع رباعي منه. تغرز أظافرها في خيامية لم تعد قادرًا على الجزم بألوانها التي كانت زاهية يومًا. ثقوب دقيقة، بينما تتسابق خطواتها إلى أعلى.

تكتشف مأزقها بعد وصول يوشك أن يحدث لوجهة هي لا تعلمها وأنا لا أراها. تتشبث بجسارة خشية أن تهوي، وتطول ثواني التفكُّر في إيجاد مخرج من مأزق لم يكن في الحسبان ولم تنظره. أوافقها الحيرة والسؤال. لماذا كان الصعود؟ وإذا أكملت المسير، فماذا تجد؟ وإن قررت الهبوط، فكيف يكون؟ أظل أراقبها في صمت وترقب، بل في خوف ورغبة أن تكمل إلى أعلى فتواجه ما لا تعلم، وتنظر جانبًا من الشجرة جديدًا، علَّه يحمل لها ما يستحق كل ذلك المسير، علَّها تتعلم درسًا جديدًا وتُجبَر على اتخاذ قرار هو أصعب من قطع كل تلك المسافة.

iCulture
Empowering creative minds

أخيرًا تقرر الهبوط. يا جبانة! لكنها تهبط بجسارة لا تقل عن الصعود. الهبوط من علٍ هو أصعب لو تعلمون، خصوصًا لو كان بقرار واعٍ. تزداد قبضاتها الصغيرة على نسيج متهالك. تميل بجذعها إلى أسفل مع الجاذبية، حتى تكاد تفهم أنها ستنام. بتأنٍّ تتشبث بقوة أكبر بأربعها. أخشى أن تسقط على رأس إحدى الجالسات إلى الموائد تحت الشجرة، المستورة بزينة قبيحة تغطي الطبيعي بتراث باهت. تكمل الأمتار الأربعة ثانيةً وتهبط بي، إلى مأزقي.

***

iCulture
Empowering creative minds

شادي

تدوس قدماي بين المقابر في صباح اليوم. أعلم أنها ربما المرة الأخيرة، لكني لا أبالي. أُعفِّر قدميَّ في تراب لا يمكن لأحد أن يجزم إن كان من جبل المقطم القريب أم من أعماق هذه القبور. هل قرر أن يهرب من الصمت في الأسفل واستغل لحظة دخول أحدهم ليفر هو إلى الخارج؛ إلى عالم الأحياء؟!

اتصل بي غفير مدفن العائلة يسألني الحضور للضرورة إن أردت أن أنهي العمل بسرعة كما أريد. أردت فقط عمل مقاعد مريحة للزائرين، رغم علمي أنهم لن يأتوا، وإن أتوا فلن يجلسوا، وإن جلسوا فلن يطيلوا إلى الحد الذي تتعب فيه ظهورهم من سوء المقاعد أو الوقوف.

رغم ذلك قررت أن أنهي العمل سريعًا؛ لأني -حسب ما يُقال- لا أملك رصيدًا كافيًا من الوقت لإضاعته في التردد والحيرة، الشك والغضب،أو حتى الخوف والقلق.

طلبت مرارًا من الغفير وضع علامات على الطريق. أضل طريقي دومًا في منحنيات المكان، وصمته يزيدني ضلالًا. أضل طريقي حيث أبي وأمي، ومستقر الأحباب. يمين،

iCulture
Empowering creative minds

شمال، هنا، هناك. أحاول حفظ بعض الأسماء لأستدل على طريق جديد لا أعيد السير فيه.

أراه من بعيد، يمشي متباطئ الخطى كما لو كان في نزهة، أو ربما هو تائه مثلي، لكنه يئس من الاهتداء إلى موطنه فقرر أن يتوه بهدوء، ودون قلق.

سار على يميني وأنا على يساره. هالني شحوبه وهزاله، ووسامته أيضًا. صغير السن يمشي ملكًا، هادئ الخطى، لا ثقة ولا ريب. لولا أني لا أومن بما أسمع لظننته شبحًا لأحد النيام في الأسفل القريب.

نظرة وابتسامة، لم أجد فرصة لإجابتهما. مر سريعًا كطيف هواء. خجلت أن أستوقفه للسؤال عن وجهتي الضائعة، وقررت مواصلة البحث للوصول. شمال، يمين. أسماء بعض المعارف والجيران القدامى. أسماء غريبة لا أعلمها. طالما سألنا والدي وألحَّ على تقرير مكان ليكون مستقرًا خاصًا بأسرتنا الصغيرة. كنا نهرب بمجرد أن يشرع في الحديث. يبدو أنه كان مُحقًّا؛ فوسط كل تلك المراقد، لا يمكن أن أهتدي إليه وإلى أمي وعائلتي، وتوأمي الوليد.

تعبت قدماي وزاد العرق رغم غيم السماء بسحب يناير. يبدو أن موعد تلك الجلسة، التي يصرون أن أستمر في التداوي بها، سيفوت. أحاول الصمود. أجده من جديد في

iCulture
Empowering creative minds

طريقي المقابل بالهدوء نفسه. يداه في جيبي بنطاله الرمادي. قميصه مُخطَّط بالعرض ويصعب التعرف على أصل ألوانه. شحوب وجهه لا يتناسب مع هدوء سيره وثقة خطواته.

أهم بالسؤال، فيفاجئني بنظرة قريبة إلى قلبي حدَّ إحساس أني كنت أفتقدها وأنتظرها وقد ضاعت مني قبل ذلك. أحاول التذكُّر؛ أين ومن ومتى؟ يُعييني البحث. من جديد، نظرة وابتسامة. يمر سريعًا دون فرصة لإمهاله للوقوف. أجري خلفه، أناديه أم أستغيث، أصرخ ولا أحد، لا مجيب، لا شيء.

أقرر العودة إلى الوراء حيث كنت. لا وجود له. أعود من طريقي الذي كنت فيه. كل الطرق هنا واحدة، حتى الأسماء. أبحث، أدور، لا أجده. تباغتني ريح ياسمين، زهرة ياسمين بيضاء مُلقاة على التراب. تستوقفني رغمًا عني. أنظر يميني فأجده من وراء حديد أخضر صدئ وقفل بجنزير لم تمتد يد إليهما منذ سنين. كيف دخل؟ أحاول فتح فمي وإطلاق السؤال، ينحبس صوتي، فلا مجال لصوت ولا قدرة.

تتحدث عيناي بالتفاتة إلى اليسار. أشرف محمد يحيى، تُوفِّي في 1984 عن عمر 15 سنة. نعم، أشرف/ شادي الخاص بي في رواية فيروز الغنائية. يباغتني من بعيد صوت زوجي، يتعالى بالنداء على بعض الأصوات التي تعلو وتقترب.

iCulture
Empowering creative minds

دلني يا أشرف سريعًا على الطريق إلى أبي. يشير ذات اليمين. تفاجئني الأصوات عن يساري قادمة. تزحف، تزاحم نسيم الهواء الذي ضاق بتراب القبور. عشرات في مواجهتي يسرعون الخطى يتقدمهم زوجي الحبيب باكيًا يرتدي ما أعددته له هذا الصباح من ملابس. يحملون جسدًا مُسجًّى مُغطًّى بشالي الأحمر الهندي الكبير. يتجاوزونني كأني سراب. تنسحب روحي وترتد بمرورهم الخاطف كلمح البصر. يذهبون ذات اليمين. أبحث عن أشرف فيفاجئني من ورائي بنظرة وابتسامة. ها قد وصلت.

***

iCulture
Empowering creative minds

قطعة ملابس داخلية

يستهويني المرور في الممرات الباردة. هي بتصميم الحارات نفسه، لو أنكم تعرفونها. منحنيات يحتار فيها غير الخبير حتى يحفظها، فيترك نفسه لتتلاعب به عن طيب خاطر. واجهات المحال ذات اليمين وذات الشمال تذكرك، تطمعك، تغريك وتغرك. تقع عيناك على الحِسان من أهل الجنان، كما تقع على الذين قد كُتِبَ عليهم شقاء التطهر والتطهير.

تتوالى إشعارات الهاتف تعلمني بجديد حملة الغضب على الفيلم الأخير الذي يروج للفساد، وتلك الفنانة التي تجرأت على مشهد فاضح تخلع فيه قطعة ملابسها الداخلية السفلية على مرأى من الجمهور. أمرر الشاشة الصغيرة في يدي كي أصل إلى الجانب الآخر من الكرة الأرضية، وأتأكد من خبر زواج زوجي بأخرى حسب ما بلغني هذا الصباح. عذرًا، ذلك الذي كان زوجي. دائمًا أنسى.

تفوح رائحة «فيكتوريا سيكرت» عن يميني، بينما عيناي على صورة زفافهما، وفي الخلفية آية قرآنية عن المودة والرحمة، في اللحظة التي تلتقط فيها أذني ضحكات جانبية مُصوَّبة ناحيتي. أنظر إليهم فلا تتلاقى الأعين. ينظرون إلى ما

iCulture
Empowering creative minds

يجاور قدمي، هذا المُلقى على الأرض في ضعف، هزيلًا، أغرقه التعب.

إنه هو محل النزاع على وسائل التواصل، قطعة ملابس داخلية سفلية، حريمي بالتأكيد. تصادف مروري بجانبها مباشرة حتى كدت أطؤها بقدمي غير عابئة بتأوهاتها.

تضاربت الأقوال؛ يقولون إنها سقطت سهوًا من صاحبتها، بينما يؤكد البعض أن السقوط كان عمدًا. في رواية أخرى هي تخص المحل الشهير المجاور، وقد ألقت بها إحدى العاملات في وجه عميلة، لكنها أخطأت التصويب. لكن البعض أنبأ أنها سقطت من حقيبة مُتخَمة بمثيلاتها بعد دفع الثمن، الذي يؤكد البعض الآخر أنه لم يُدفَع؛ فهي مسروقة يا سادة، وقد ألقت بها اللصة كي تتبرأ من التهمة. إنها - في قول آخر- مجرد قطعة قماش أقل بكثير من ربع متر، وإنها تُثمَّن بالسنتيمتر، وإنها تقدر بـ800 جنيه بعد التخفيض الذي رفضته عميلة؛ لأن مثلها تُعاب إن اشترت بتخفيض.

انقسم المول التجاري العملاق، فتجمهر كلٌّ من العملاء وخادميهم على حد سواء في دوائر يتوسطها هذا الهزيل المُلقى أرضًا. حضر صاحب المول الشهير بطائرة خاصة، ومجلس الإدراة وأعضاء المجالس الكبرى ونائب الكبير. أفرغوا الوقت لتبيُّن الحقيقة، حتى بدا وكأنه مُلقًى منذ نشأة العالم. أخرج

iCulture
Empowering creative minds

من دوائر البحث الجاري لأبارك لزوجي، السابق، حياته الجديدة، وأشيد بتلك الكرافت التي يرتديها بلونها الأحمر والنقوش نفسها لذاك المُلقى أرضًا هزيلًا، موضوع البحث.

***

iCulture
Empowering creative minds

iCulture
Empowering creative minds

قمر سعادة

استيقظت في صباح شهدت مثله كثيرًا. لملمت حاجات ليالي المتعة السريعة، كدستها في حقيبة يدها التي اختارت حجمها كبيرًا لهذا السبب؛ كي لا تُضطَرَّ إلى حمل أخرى أو إلى حمل كيس بلاستيكي أسود كما جرت العادة. تركت على السرير تلك الجثة التي ما زالت تتنفس، والتي لم يتسع الوقت لتعرف اسم صاحبها، ولم يكن من داعٍ لذلك. تركت أيضًا بعضًا منها هناك؛ بعضًا من عرق وبعضًا من دموع وبعضًا من أشياء أخرى فقدت متعتها.

لم تكن في ليلتها كما اعتادت أن تكون بعد طول تدريب. ورغم ذلك لم يؤرقها في هذا الصباح أي ندم ولا ذكرى تستدعي البكاء، ولا حتى أي حالة من «أرف» كما اعتادت أن تصف دومًا إحساسها وهي تلملم أشلاءها في أشيائها القليلة.

هبطت من الطابق السابع والأخير على السلم، لا لشيء إلا لأن المصعد لا يعمل إلا بشفرة، صعودًا وهبوطًا. ومن يمتلك شفرة الصعود والهبوط هو فقط القادر على اختصار الزمن والمسافات. لم يكن لها ذلك بالأمر المزعج؛ ففي المصاعد الحديثة ينعدم إحساس الزمن، وكأنها في تابوت،

iCulture
Empowering creative minds

تنتظر أن يُفتَح بابه لتُبشَّر بالوصول، إلى أعلى أو إلى أسفل، لا يهم، المهم هو الخروج.

بصقة من فم أسود بجانب إحدى عربات الأجرة كانت بداية لأن تشعر، لأن يأتي الإحساس. كادت البصقة تقع على قدمها المكشوفة في حذاء مهترئ. قدمها التي تحرص على نظافتها من تراب الشوارع والحارات فيظهر لونها بلون جسدها الأسمر، زنجية، كما اعتادت أن تُوصَف. يُعلي ذلك من قيمتها أحيانًا لمن يبحث عن هذا النوع من المتعة، ويستدعي السخرية كثيرًا أيضًا بعد أن يُعرَف اسمها؛ سعادة.

تعرف أنه لم يكن لها أن تعمل ليلة أمس. لم يكن لها أن تخرق الميثاق الذي أخذته على نفسها، خصوصًا بعد أن رأته بالأمس في وسط السماء. يقف مشدوهًا مكتملًا. تخاف ليالي القمر، تلك التي تكتمل فيها استدارته كوجهها المستدير، كما اعتادت أن تسمع قديمًا من أمها التي باشرت التراب ينهال على جسدها الأسمر المُغطَّى بالأبيض ككفن في ليلة من ليالي اكتماله. ما إن يكتمل حتى تلازمه الدهشة. كانت تظن صغيرة أنه مدهوش من سوادها الفاحم. هكذا أقنعها أحد أبناء الجيران عندما رأت لأول مرة دهشة القمر في وسط السماء، فاغرًا فمه وتتسع حدقتا عينين لا تراهما بوضوح. سخر منها، وقال إن هذه أول مرة للقمر يرى فيها

iCulture
Empowering creative minds

كائنًا بهذا السواد، وانطلق ضاحكًا بجنون. دفنت رأسها باكية في صدر أمها، تأخذ نفسها بصعوبة بعد طول جري من أطفال الجيران الهازئين. سألتها أمها هل كان القمر عابس الوجه يكشر عن أنيابه؟! أجابتها بلا، كان مشدوهًا فاغرًا فاه، يحدق فيها، «إذن هو لم يرَ جمالًا مثل ما رأى اليوم في وجهك يا سعادة». حملت تلك الكلمات في صدرها طوال السنين التي فارقت أمها الحياة فيها بعد هذا اليوم بأيام.

أيقظت تلك البصقة في قلبها ذكرى إحساس بأنها لا تنتمي إلى هذا العالم المُهشَّم. تاهت في السؤال؛ هل هي علامة غضب السماء أم غضب أمها التي في السماء؟

إرهاق الليل لم يُتِح لها فرصة لمزيد من سؤال يحرمها النوم ويحرمها ما هو أهم من النوم، الغفلة عن التفكير. لم يزل الصبح يتفتح ليبدأ اليوم، لذا ستكون ماكينة الصرف الآلي الآن خالية من طابور أصحاب القروش الزهيدة في هذا الحي. لمحتها على ناصية الشارع وهي تركد بجانب صاحب الليلة في سيارته بالأمس متجهًا إلى منزله، حيث البصقات ستتنوع وتختلف. دفعت قدميها ناحية الآلة. ما إن وصلت حتى دست يدها في الحقيبة تحت أكوام القطع المهلهلة، التي تفوح منها رائحة العرق والشهوة.

iCulture
Empowering creative minds

أخرجت حافظة النقود ومنها بطاقة الصرف. دخلت في حمى الكيان المعدني الذي يحمي الآلة، لتقع عيناها على ما أفرغه أحدهم على الشاشة من بصق عظيم يغطيها وينسدل، وكأنما حبسه لأعوام ليقرر أن يفرغه طازجًا هذا الصباح لأول الزائرين من بعده؛ سعادة.

لم تدرِ هل تشاركه النقَم أم تلعنه وتشعر بالقرف. دفعتها معدتها إلى الوراء خروجًا من حمى الآلة، ورغبة في إفراغ محتواها من طعام أصر صاحب الليلة أن تشاركه إياه. تخلصت من كل ما فيها، واستندت بظهرها إلى الحائط، وتركت قدميها تنثنيان تحتها حتى أصبحت في وضع الكاتب المصري القديم.

أشفق عليها حارس الآلة ومدَّ إليها زجاجة ماء، أخذتها شاكرة وقد جف حلقها. اعتذرت عن أنها تسببت في اتساخ الحائط واتساخ زجاجة الماء. وعدته أن تشتري له أخرى من المحل المقابل ما إن تقدر على القيام. أخبرها أنه لا داعي، وتمنى لها السلامة، ووعدها أن يذكرها في دعائه ساعة الإفطار.

ارتبك عليها الأمر، هل حل الشهر الكريم دون أن تدري؟ لكنه طمأنها أن الشهر الكريم لم يأتِ بعد، بل هي ليالٍ

iCulture
Empowering creative minds

ثلاث لاكتمال القمر يصوم نهاراتها الصائمون. نعم، صدق الرجل، كانت أمها تصوم ثلاثة أيام من كل شهر.

تجاوزت تلك البصقة العظيمة على آلة النقود، واستجلبت منها ما تريد من أوراق مالية عشر بقيمة كل منها مئة جنيه. مبلغ كبير لأنه سيخفض رصيدها الهزيل في الآلة، لكن لا مفر؛ فاليوم آخر موعد لدفع أقساط متأخرة لتجهيز قمر، أختها الصغرى والوحيدة، ملاذها الأخير والأوحد في هذه الأرض.

جف ريق قمر من طول الشكوى والاستياء من حال سعادة. أغرتها كثيرًا بمكسبها المُتوقَّع إذا وافقت وعادت معها للعمل في حارات الحسين. ما تتمتع به سعادة من دقة رسم الحناء على الكفوف مبهر. تختزن مهارتها في خلط الحناء ورسمها لبعض السيدات ذوات الأيدي البيضاء بأموالهن، القادمات خصوصًا من هنا وهناك كل عام، فتأخذ ما يكاد يكفيها لعام بلا شكوى.

مؤخرًا انقلبت سعادة على حالها، فلم تعد تكفيها ما تأخذ سنويًّا. زاد الأمر تعجلها تزويج قمر، فكادت تُجهِز على مدخراتها في أقساط شتى لبيت العروس. قدرت سعادة الأمر بأن جسدها على كل حال فانٍ ومُتعَب، فلن يزيده سوءًا أن تهب من سُمِّه كل ليلة بعض من يستحقون السُّم. في

iCulture
Empowering creative minds

البداية أفرغت النهار لنقوش الحناء في الحسين، وأبقت على الليل لدس السُّم وقبض الثمن. مع الوقت، اشتكى الجسد أن فيه ما يكفيه من أوجاع تنتظر جلسات تداويه، وعدت سعادة طبيبها أن تبدأ فيها بمجرد الانتهاء من زفاف قمر. وعلى كلٍّ فقروش الحناء في نهارات الحسين ليست مغرية دائمًا، فليرتَح الجسد نهارًا، وليقبض الثمن ليلًا.

ثمن الليلة الماضية كان بخسًا مع الأسف؛ انتقص صاحبها منه حق الطعام الذي أفرغته سعادة أرضًا من دقائق. ها هو النهار قد حل، وقد بقيت ليلتين من الليالي الثلاث، فلترتكن إلى حضن البيت ولتأخذها فرصة لخلط مزيد من الحناء لعمل قمر في رسم الكفوف في الحسين.

لم تستطع النوم. ظلت ظلال بصقات اليوم تلح عليها. راودتها فكرة شيطانية وسؤال: هل يمكن أن يصل الغضب بالقمر بعد كل تلك الدهشة أن يُعبِّر عنه ببصقة من السماء تصل ولو بعد حين؟! في اللحظة التي أعلن فيها السؤال عن نفسه، هاجمتها أوجاع الجسد. لتسكين أصواتها، ابتلعت بعض أقراص موصوفة. ألح السؤال بغضب يبغي الجواب. قررت المواجهة لفض النزاع، أن تصعد إليه، تواجه بسمارها الفاحم بياضه الأنور، بكل ظلمات نفسها والأرض تضعها بين يديه.

iCulture
Empowering creative minds

اغتسلت ومدت يدًا إلى القمر، اتخذها بادئ الأمر هُزوا وأعرض عنها. دخل وسط غيمة كانت في طريقها بما هي حبلى به إلى أرض بور. جرت سعادة وراء الغيمة ذاهلة من تصرفه الصبياني. باغتها أمان وهي ترى نوره يفيض من وراء الغيمة وحولها، والتي سرعان ما زادت من سرعتها وتركته في بطء فلكه.

وجد نفسه فجأة بلا غيمة يختبئ خلفها. أدركته سعادة على مسافة من تخلي الغيمة وانكشاف ساحته. أبى أن يعيرها اهتمامًا. جل ما قاله أن تحمد الخالق أنها لن تظهر من عتمة السماء، وإلا لارتعب أهل الأرض منها، تلك التي جرأت وصعدت إلى القمر، فتجرؤوا. غيَّم عليها حزن ليس بجديد، وأطرقت إلى الأرض وأهلها. رقَّ لحالها فاعتذر أنه لم يقصد إساءة، هو يصف الأمر فحسب. بادلته النظر، ففاجأها اعوجاج في استدراته لم يكن في التفاتة سابقة. سألته عن السبب، فأجاب بسبب أنه أحزنها. لم تفهم ما يقصد، قال إن نقص اكتماله لا يكون إلا لو شعر هو بالحزن، أو أنه أحزن أحدهم، ولو من غير قصد.

لم تشأ إضاعة الوقت؛ فلم يبقَ على انحسار الليل إلا قليل. واجهته بعلاقته بتلك البصقات التي تنهال عليها.

iCulture
Empowering creative minds

فاجأه الأمر، هو القمر ذو الصخر الذي يظنه الناس أملس من قوة نوره وبياضه، فكيف يأتي منه هذا الفعل المشين؟!

«أقف مشدوهًا في السماء مما أرى من عجب بني آدم، لكن لا أملك لكم من أمركم شيئًا. لو بيدي لتلفعت بسحب السماء جميعًا وأبقيتكم في ظلام، لعله يطهركم من بؤس نفوسكم. على غالب الظن هي من فِعل السحاب، تلك الغيم اللطيفة كما تبدو لكم، لكن حبلها قد يكون حينًا شؤمًا على بني جنسكم أو بعضه. بصقات هي زفرات أهل الجحيم لإيقاظكم، أودعوها الغيم.»

فتحت سعادة عينيها على وجه قمر بجانبها، تمسح عرقًا ندَّ به جبينها فأحالها على سمارها كالأرض البكر، تنتظر طرحًا طيبًا. أذاقتها شربة ماء طهرتها من زفرات أهل الجحيم، فقبلت يد القمر المُزيَّنة بنقوش الحناء، واستكانت بجواره.

***

iCulture
Empowering creative minds

في منتصف الفراغ

لا يمكن اعتباري جارة متلصصة، أنا فقط أطمئن على استمرار الحياة. اعتدت قديمًا أن أتلصص على البيوت من النوافذ والشرفات وأنا أمر من فوق الجسور، حديثة الاسم بالكباري، بعضها يكاد يلاصق البيوت، فأحدد مستوى معيشتهم من الثريات المُدلَّاة والستائر والأسقف. بعضها يظهر بصورة أكبر إذا ما كانت في مستوى مروري العابر. تلصص اللحظة يعطيني مجالًا لأسرد في مخيلتي حياة أصحابها. الإضاءات الخافتة تدل في الغالب على فراغ الأماكن من أصحابها في هذه اللحظة، أو أنهم لا يشغلون هذه المساحات الآن. الإضاءات القوية تقول إنه ربما الآن في ضيافتهم بعض الشخوص ذوي القربى أو الصداقات.

الآن، من طابقي الرابع العلوي في بناية قديمة، تواجهني تلك البنايات المماثلة، لكن تخلى عن سكنها أصحابُها هروبًا من زحام المدينة. توجهوا إلى المدينة الجديدة على الأطراف، حيث كانت قديمًا أرضًا للموتى وفقراء ومجهولين. أتفقدهم في شرفاتها المتبقية. أتفقد لياليهم التي كانت تجمعنا يومًا أو تلوح منها الأيدي لبعضها أو إيماءات الرؤوس.

iCulture
Empowering creative minds

للدقة، ليس كل سكانها قد هجروها إلى المدينة الجديدة، القليل منهم فحسب. الكثير منهم هاجروا إلى السماء، وبقيت أنا رغم تقارب أعمارنا. من بقي منهم آثر القرب من الأبناء والأحفاد في مدينة الموتى سابقًا، بعيدًا عن الزحام. لم يبقَ في الشرفات إلا جار وجارة، بينهما خلاف. لكني أوثر السلامة، فحافظت على مسافتي من جاري على اليمين وجارتي على اليسار.

نتلصص بعضنا على بعض من حين إلى آخر، من باب الاطمئنان. إذا ما غاب أحدنا لأكثر من ساعتين عن الظهور، تتوالى الأجراس من الأجهزة ذات الأقراص، الرمادية عندي والسوداء عند جاري، أما جارتي فقد تمسكت بالجهاز السبعيني الأحمر العمودي على قاعدته؛ لا تزال ترى فيه جمالًا من الحمق الاستغناء عنه.

وكأنما عرف البعض سر الخلاف بين جاري الأيمن وجارتي اليسرى، فرأوا هدم ما بينهما من بناية أُفرِغت مسبقًا. غيَّب تراب الهدم الرؤية بين ثلاثتنا لأيام، فلم تنقطع الأجراس غضبًا حينًا مما يحدث أو من باب الإيناس والحفاظ على الوجود.

نفعتني خبرتي السابقة في أعمال البناء، تلك التي استمددتها من زوجي ومكتبه الهندسي الأشهر في حينه.

iCulture
Empowering creative minds

أستشيط غضبًا من الأخطاء التي أراها، فأرفع صوتي عاليًا حتى يسمعني هؤلاء الجهلة عديمو الخبرة. ظنوا بي في البداية الغضب من صخب العمل، ثم ظنوا بي الجنون فأخذت تتعالى ضحكاتهم سخرية مني. أرسلت إليهم حارس بنايتي برسالة شفهية عن الأخطاء الواردة في سير الهدم والبناء. أخذت أُلقِنه الكلمات حتى لا تتوه من عقله ولسانه الذي قارب السبعين. لم أظنه فهم مما أقول شيئًا، لكنه ذهب إليهم بالرسالة حانقا عليَّ وعلى اليوم الذي استلم فيه العمل. لم يأتِ بجواب، بل لم يأتِ ثانيةً. علمت أنه نزل من عندي فجمع ما يملك من غرفته وغادر إلى موطنه بغير رجعة بحجة التعب.

اجتمع جاري وجارتي أخيرًا على إقناعي بأنه لا فائدة تُرجى مما أفعل. ينبغي أن أترك الأمر لينهدم على رؤوسهم ورؤوس ثلاثتنا فنرتاح جميعًا. صوت صراخي من الشرفة يوقظهم؛ فهو أعلى من صوت الهدم والبناء. سكتُّ على مضض وعلى غضب.

في الفجر، يرقد رأسي بين الوسادتين، بينما تنهال رأس شاكوش على رأس أحد المسامير في عرق خشب يؤسس لسقف تلك البناية، التي تتصاعد يومًا بعد يوم لتواجهني مباشرة بعد ذلك كل يوم، والتي يشارك في بنائها هذه

iCulture
Empowering creative minds

الكائنات الخشنة التي لا أتبين ملامحها. يوقظون الشمس بضرباتهم فيجبرونها على النهوض. أشهد تآمرهم هذا كل يوم من وراء فتحات الشيش دون أن يروني. اضطُرِرت إلى تركيبه بعد أن اكتشفت فعل تلصصهم على وحدتي التي أملؤها بالتلصص عليهم.

بمجرد أن أطمئن على سير الحياة كما هو مألوف، أسمح لنفسي بالتلصص على الأحلام من تحت غطاء فراشي. في المنتصف منه، الفراش، ذلك الفراغ، أحاول أن أتخلص من تلصصي على حياتي. أحرص أن أكون على بعد متساوٍ من كلا طرفيه، الأيمن والأيسر. وجدته العلاج الأمثل لتلك الوحشة التي تلازمني إذا ما التزمت أحد الجانبين، فأجد الآخر في انتظار دائم أن يُشغَل بغيري، من كان يحتل مساحته بفراغه اللعين. ذلك الفراغ الذي يتحول إلى مساحة مضاعفة من الوحشة كلما أحسست بها انزويت أكثر إلى الحافة، وكأني أحرص ألا أسرق من مساحة تلك الوحشة في ذلك الفراغ أي قليل. وكلما انزويت إلى الحافة، زاد الفراغ بما فيه من وحشة.

أتلصص على جسدي الذي يغدو يومًا بعد يوم غريبًا عني، حيث كانت مواطن الرغبة والاشتهاء، تلك النبضات التي كانت تطرق الأبواب، فأوصدها عنوة في وجه كل

iCulture
Empowering creative minds

الضربات. لا تتركني دقات الساعة، تعلمني بغباء مُحكَم خبر مُضي الثواني وكأني لا أعلم، وكأني على عجلة من أمري.

أتلصص على الماضي، بينما أرقد في فراشي الذي كان يتسع لجسدين، كعشاق، يستند ظهري إلى الفراغ الكائن خلفي، يلاصقه حد المعانقة والتوحد.

جاءتني الفكرة من أفلام زمني؛ ليلى مراد في «غزل البنات» مثلًا، عندما تكون البطلة الحسناء في المنتصف دائمًا. لن تكون ثمة مساحة تشكو الفراغ، أو يمكنها أن تستقبل أحدًا. كلا الجانبين أصغر من أن يشغلهما جسد ما.

يشتد الطرق ويتعافى حتى أجهل مصدره، حتى يخفت ثم ليصمت، ليسكن القلب. تتوالى الأجراس من الجهاز الرمادي ذي القرص، بينما ترسمني أحلامي، صغيرة، يدي في يد والدي وعيناي تدوران على لافتات المحال والمكاتب والعيادات والشوارع. أتقنت القراءة في سن صغيرة، والفضل لفضيلة التلصص.

لا تنقطع الأجراس ولا يتوقف الطرق، يتلصصون عليَّ الآن بطريقتهم. أتلصص أنا الآن على المستقبل، فأرى القادم من شباك للحلم المكسور. تركض في رأسي أحلامي وفي قلبي الصامت الأمنيات.

iCulture
Empowering creative minds

لا يمكن اعتبار أني كنت جارة متلصصة، بل كنت إنسانة متلصصة؛ لأن التلصص هو أصل فعل الحياة. أعرفكم بنفسي التي كانت؛ «الست حياة».

***

iCulture
Empowering creative minds

توازن

في محاولة لإحداث التوازن، يستند كلٌّ منهما إلى الآخر. جسدان ضئيلان يُطوَّحان في الهواء. تأرجح بين الاتجاهات المتباينة. تكفيهما بالكاد دراجة تبلغ من العمر مثليهما. صغيرة ضئيلة صدئة كوجهيهما المتعبين من تراب الأرض. يتحايلان على الحياة بالضحكات. يسخران من كل ما هو كبير. يخرجان لسانيهما لكل ما هو على الأرض وما في طيَّات نفسيهما من خوف أو غير مفهوم بعد. صدئة كلها الحياة، فما يضيرهما أن يلعقاها بلسانيهما ويواجهاها بضحكات هازئة ... بمحاولة لإحداث التوازن بينما يستند كلٌّ منهما إلى الآخر بجسدين ضئيلين كوزن الدنيا في أعينهما؟!

***

iCulture
Empowering creative minds

iCulture
Empowering creative minds

حكاية كل الحكايا

يقف الراوي على عتبة الباب الأكبر، مستطلعًا ما يدور في الداخل المعتم. يحكي لنا حكاية كل الحكايات. وأنا، القلم، أسجل روايته.

من عتمة الأسود خرجت الألوان
كانت حبيسة في بوتقته، لا تعلم لها اسمًا ولا شكلًا
لا تعلم لها ذاتًا
لكنها كانت تدرك أنها مختلفة
كانت تدرك وجودها
تؤمن بما فيها من تميز واختلاف
اتحدت وشكلت معًا حزبًا مستقلًّا
طالبت بتحررها مرارًا، إلا أنه في كل مرة يأبى الانفصال
كان يخشى أن يكون وحيدًا
يخشى تلك العتمة التي لا يملك لها دفعًا
كان يشفق على ما فيه من اختلاف
يؤمن ويدرك أنه آتٍ لا مفر؛ ذلك اليوم الذي تتحرر فيه من قبضته
لكنه أضعف من الاستسلام
لم يكن يعلم كيف سيكون الأمر

iCulture
Empowering creative minds

كان يبغي الخلاص لنفسه ولهم
لكن كيف السبيل؟!
إلى أن جاء يوم بُوغِت فيه بذلك الآتي
آتٍ طاغٍ على كله
صفع الأبواب المُغلَقة العنيدة
هبَّ في وجه العتمة نور
لم يكن يعلم ما ذاك
وكيف يكون
لكن شيئًا ما فيه سكن ... فجأةً
شيئًا اطمئن
لم يجد نفسه إلا وقد استكان لذلك النور
رفع راياته العتماء
أعلن السجود لبهاء السكينة
استكان
وحينها فقط ... تحررت الألوان
انطلقت كالنسور مُحلِّقة في فضاء الكون
تخبَّط بعضها ببعض
تدافعت بقوة المفاجأة والفرحة
فوُهِبَت فجأةً تلك الملامح
كان التدافع سر اللون؛
فكان الأحمر

iCulture
Empowering creative minds

وانطلق الأصفر
وهبَّ الأخضر من سباته يعلن وجوده
وانطلقت الألوان وقد ميز بعضها بعضًا
كلٌّ قد علم صلاته وتسبيحه
كلٌّ قد علم مكانه
لم يبقَ إلا الأسود
ذلك الشامخ الكسير
مد إليه النور يدًا بيضاء
تلقَّفها الأسود بجلال واشتياق
لهكذا كان يحن منذ زمان
لهكذا كان يشتاق
لهكذا كان يحتاج أن يكون
لم يعد يخشى عتمته بعد

***

بدآ معًا من جديد
وكأنها لحظة ولادة
تناغما وانفرطا وانفصلا فاتصلا
أدركا أن لكل منهما شكلًا وهيئة
ليسا نقيضين
بل هما فقط مختلفان

iCulture
Empowering creative minds

لكل منهما يد عُليا
على وجهين مغايرين
تشاجرا حينًا
يرمي النور اتهامه للعتمة بأنها كئيبة
فيرمي الأسود غرور النور في بهائه بالتعالي وحب الظهور
يدفع الأسود الاتهام عنه بأنه سكون العاشقين
فيرفع النور راية إعلانه بأنه تجلي الحق المبين
يسأل الأسود كيف كان النور قبلًا؟
تتفلت ومضات تتلألأ من عمق النور حزنًا
يحكي: كنت وحيدًا
من فرط النور ما عدت أرى سواي
أعمتني نفسي عمَّا عداي
حتى ما عدت أرى نفسي شيئًا مذكورًا
ظننت لبرهة أني أنا هذا الوجود
وذات يوم شاهدتك من بعيد
بجلال وشموخ
حزنك لامس حزني
وسكونك غار منه غروري
ومضيت نحوك.

***

iCulture
Empowering creative minds

غار الاسود في عتمته قليلًا
وطال الانتظار
استوحشه النور
ظن به سوءًا
استنطقه، فلم يُجِب
زفر الأسود تنهيدة رقيقة هبَّت منها ريح طيبة
قال أخيرًا: لم أكن قبلًا ببعيد عنك
كنت أنا كما كنت أنت وحيدًا موحشًا
أظن أني وحيد ها هنا
ظننت أني الملك بغموضه الخافي عن كل أحد
وظننت أني المملوك في عتمته وخفائه
سكنت بداخلي أصوات شتى
تأبى أن تظل مخفية
كانت تؤرقني ولا أملك لها يدًا
فأنا في نفسي مسجون، فكيف أهبها ما لا أملكه لنفسي؟
إلى أن كنت أنت
نورك حرر عتماتي
أطلقتُ مداها فانطلقت
وبقيت أنت.

***

iCulture
Empowering creative minds

في عالم ما بين البين
كانت ثمة جلسة منعقدة
يترأسها الأحمر.
تعالى الصياح وتداخلت الكلمات
هب صارخًا بـ«السكوت من فضلكم!»
هدأ الجميع
فلا أحد يقدر بعد على صراخ الأحمر؛
يحمل من الجنون ما يحمله على فعل أي شيء غير مُتوقَّع.
طلب الأصفر الكلمة
فأُعطاها.
تساءل: حتى متى الانتظار؟
أنظل هكذا عالقين في عالم البين؟
ما لهذا طلبنا فكاكًا من العتمة. لا بد من فعل ما!
وافقه الأخضر بعد أن هب وقوفًا بمرونة.
حان وقت البناء ... لا يمكن أن يظل العالم بهذا الانقسام
لنهبه الحياة بعد أن وُهِبت لنا.
قاطعه الأزرق بغتةً:
نعم، والأمر بيّن
كلٌّ منا يعلم ما هو عليه هيّن

iCulture
Empowering creative minds

فلنقسِّم الأدوار.
وافقهم الجميع
وصمت الجميع
وانتظروا كلمة الرئيس.
قام بتؤدة يسري بينهم
قال: احذروا
فالأمر خطير
سيكون سجالًا
وعلينا أن نقرر لمن سيكون الأمر
ما بين العتمة والنور يرقد هذا العالم
لذنا فرارًا من مخبئنا
ترى سيترك لنا الأسود ذلك أم سيطفئنا بعتمته؟
وهل يسمح لنا النور بالبقاء أم يغشانا فلا نبين ونحن وجود؟
سكن الجميع
وساد الصمت.

***

ظلا سكوتًا
في فضاء الكون يتجاور كلاهما

iCulture
Empowering creative minds

بون شاسع.

همس النور: أحارب غروري كل حين عساه يختفي ... تعبت.

تساءل الأسود بترقب: أي غرور؟!

صمت النور في خزي.

حنَّ عليه الأسود فقال: أعلم ماذا تعني، وأنا غير حزين

أعلم أنك أنت الأظهر دومًا

وأنك أنت المرئي لكل ذي عين

ولكني لست مفاخرًا حين أقول إني الأصل

وإني لا يراني على الحقيقة إلا العارفون

إنهم يسبحون فيك بدايةً، ولا يكون الغوص إلا فيَّ.

تلألأت ومضات بريق في النور غضبان أسِفًا

همَّ بالاعتراض، لكن اعتراه الشك في حججه.

صمت طويلًا

في اللحظة نفسها كانت الفكرة تومض في كلٍّ منهما

همَّا معًا بالحديث، فارتطما بحاجز رقيق، من رقته لا يبين

فتأكد كلٌّ منهما أنه ربما يكون على صواب في فكرته

وأنها باتت حتمية ربما.

***

iCulture
Empowering creative minds

في اجتماع الفارين، كان الحديث.
إننا سنشكل ضروب الحياة
بكل عناصرها
مهمتنا شاقة يا سادة.
هكذا قطع الأحمر الصمت الطويل في الاجتماع المهيب.
تجهَّزوا للمواجهة
ندين للعتمة والنور
ولكن لهذا الوجود فرح مقسوم
ولعله يكون على أيدينا نحن.

***

بدأ الأسود حديثه قائلًا:
ألا ترى معي أنه يوجد الكثير الذي ينقص هذا الوجود؟
ما بين العتمة والنور
... تلامس حزنانا وتآنست وحدتنا
فأين الفرح في هذا الكون؟
لن يصبر أحد على عتمتي وإن كان عاشقًا
ولن يحتمل أحد ضياءك وإن كان حيًّا مُحيِيًا.
توهج النور متحدثًا:
صدقت ... بين البين توجد حياة
إنهم عتماتك الفارَّة.

iCulture
Empowering creative minds

ردَّ الأسود: نعم، لعلهم هم
و لكن ما عادوا بعدُ عتمات
لقد رأيتهم وقد أُلبِسوا ثوبًا آخر
لكلٍّ منهم ضرب، وكل منهم ضرب
نورك وهبهم الحياة
كشف حقيقتهم، وأعطاهم وجودًا
ما كنتُ إلا حارسًا أمينًا، أو ربما سجَّانًا ... وسجينًا
جئت أنت فأعفيتني من مهمة سجنت فيها خوفي وفراري
من الوحدة.
همس النور بتوهج خافت:
تراهم يقبلون المهمة؟
اشتدت عتمة الأسود مزمجرًا:
إن لم يفعلوا، فما هم من قبضتنا ببعيد
أنت الكاشف وأنا المحضن الأصيل
ولنا اليد العليا عليهم دومًا
قبضًا وبسطًا.

***

لن تجدي القسوة شيئًا ونحن بعدُ ضعاف.
قالها الأحمر بحكمة.
اعترض الأصفر

iCulture
Empowering creative minds

بجنونه الظاهر قال:
فلنفرض سطوتنا ولنهبط على أرض جياع الفرحة
لن يملك أحد صدَّ قوانا إن كنا جمعًا.
انفلت الأزرق من صمته:
فأين تكون الفرحة إذن؟!
ما بين القسوة والسطوة حد فاصل
فلنسطُ بإحداث الفرحة.
وافقه الأخضر وقد نما مزهرًا:
الفرحة سلاح السطوة.
قام الأحمر بالإعلان:
فلينظر كلٌّ منكم أين يكون في هذا العالم
كيف يكون منفذًا للبهجة.
اعترض الأصفر:
ولماذا تستثني منا نفسك؟!
هل ترمي لتكون لك بعض السلطة؟!
سخر الأحمر بجنون قانٍ:
فلنرضَ يا سادة بمبدأ عام
كلٌّ منا سيكون في أرضه ملكًا
وكنت أنا أول من كان في عالم ما بين البين فرارًا
لم أختر ذاك ولا هذا.
وأشار إلى حاله.

iCulture
Empowering creative minds

وافقه الأزرق في صمت
أيده الأخضر في رونق
وفي خجل بُهِتَ الأصفر.

***

وقف الأسود والنور جنبًا إلى جنب.
كيف يكون نداء العتمات الفارَّة؟
اقترح الأسود زمجرة عليا
واقترح النور أن يرسل بعض حمائم بيض.
لم يعجب أيًّا منهما رأي الآخر.
ظلَّا سكوتًا
كلٌّ منهم يُعمِل في عقله فكرة.
فجأة
انطلقت طقطقة كبرى تبعتها أخرى
سمعا أصواتًا شتى
ظنَّا لبرهة أن العالم قد بات وشيكًا أن يفنى
انهالت أصداء العالم كحالة لبعث الموتى
فجأة
انطلقت في الكون العتمات الفارَّة
انفجر الأزرق درجات
فسماءً وبحورًا،

iCulture
Empowering creative minds

وانبسط الأخضر في ربوع الكون
أشجارًا وزهورًا،
وتباهى الأصفر فوق فروع الأغصان
وصحراء وبذورًا،
وسرى الأحمر في عروق الخلق
فتورَّدت بعد طول شحوب.
انبهر الاسود وتلألأت فيه نجوم
وانكفأ النور يحمل من كل الموجود وجودًا.

توارى الراوي خلف الباب الأكبر، يلتقط الأنفاس وقد وضعني إلى حين.

***

iCulture
Empowering creative minds

iCulture
Empowering creative minds

نيجاتيف

سألني الطبيب وهو يشرف على تخديري تمهيدًا للعملية أن أختار رقمًا. كنت بين الصحو والغفلة. لم أذكر إلا التاسع عشر. برقت أمامي «عليها تسعة عشر»، ملائكة النار. لم تواتِني الفرصة لأُغيِّر اختياري، ولا أعلم كيف أمكنني تذكُّر ذلك وأنا بين الغفلة والصحو. ما إن هممت بالتراجع إلى رقم آخر، حتى كان العالم قد استُبدِل بآخر بالفعل.

احتججت أني كنت أود التبديل، أني لم أُعطَ الفرصة بالعدل كما يجب أن يكون. لم يمهلني الحاضرون لأكمل الاحتجاج أو أستعرض قوتي في الغضب من الظلم.

كمَّموا فمي وأحكموا الرباط. أجلسوني على مقعد كبير كذلك الذي كان يظهر في مشاهد الإعدام في الأفلام الغربية قديمًا. أضاؤوا أمامي شاشة كبيرة، ظهرت فيها الصور سالبة، فلا ملامح ولا ألوان أتبين منها شيئًا واضحًا.

اجتهدت لأتعرف على شخوص العرض. ألفت منهم بعضًا ممن أعرف، لكن على غير يقين. ألفت منهم نفسي بعض الشيء. لم يكن ثمة صوت، ولم أسمع من هؤلاء الذين حولي كلامًا. لا يتكلمون. أفرغت ضيقي في محاولة

iCulture
Empowering creative minds

استكشاف الوجوه السالبة على مضض. تتحرك بأحداث مألوفة بعض الشيء.

تركيزي على الوجوه أغفلني عن اكتشاف جاء متأخرًا، وهو أن كل الشخوص عرايا. نعم، استطعت رؤية ذلك بيقين هذه المرة. ربما تسلب تلك التقنية الملمح واللون، لكنها أظهرت الشخوص على حقيقتهم كما وُلِدوا. لا تفريق بين أنثى وأخرى ولا بين ذكر وآخر. فقط الأُطر البيضاء الدقيقة في التفاصيل تضفي بعض الأنس في عتمة السلب.

فُتِح باب واكتمل المكان بعدد ما وأُغلِق. كلهم في أكفان بيضاء، لا يظهر منها سوى الأكف. تتناقلني بالمقعد الكبير كما لو كنت كرة، يدفعني كلٌّ منهم إلى الآخر. أصابني الدوار، وكدت أقع مرة بعد مرة من قوة الدفع، كما لو كانوا ينخلون الذرة. في المرة الأخيرة، ارتطمت بالأرض.

فتحت عينيَّ ففاجأتني عينان واسعتان كآبار الصحراء، تُحدِّقان. ابتعدتا قليلًا، فظهرت ملامح وجه الطبيب. بشرني بسلامة الوصول ونجاح العملية، إلا أني إلى الآن لا أذكر تحديدًا في أي جزء من جسدي كانت. لا أذكر أين كان الألم الذي استوجب أن أرقد تحت يدي طبيب.

iCulture
Empowering creative minds

الفهرس

نص افتتاحي 9
نبوءة 11
التِباس 15
الجرس 19
الراقص 25
السلَّم 31
على فوهة بندقية 35
الموظف المثالي 41
تداخُل 45
حوض الورد 47
ذو الرأس المزدوج 53
شارع جانبي 57
صباحك نادي 61
صندوق الفراولة 67
عودة 79
غرفة الألم 81
كاتب الأرض الأول 89
لم يُستدَل على العنوان 93

iCulture
Empowering creative minds

مأزق قطة 95
شادي 97
قطعة ملابس داخلية 101
قمر سعادة 105
في منتصف الفراغ 113
توازن 119
حكاية كل الحكايا 121
نيجاتيف 135

iCulture
Empowering creative minds